الـورطة

© حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتـــاب: الورطة
تـأليـــــــف: محمد الغرباوي
تدقيق لغوي: رنا أبو الغيط
تصميم داخلي: سالم عبدالمعز سواح
النـاشـــــر: دار الزيات للنشر والتوزيع

القـطـــــع: 21X14
سنـة النشـر: 2025

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم: 21225 / 2025
الترقيم الدولي (ISBN): 978 - 977 - 844 - 655 - 5

دار الزيات للنشر والتوزيع
المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم/ ٤٩٣٥١

ت: ٠١٠٦٦٧٣٦٧٦٥ - ٠١٠١٥٧٦٦٠١٤ / shahnda71@gmail.com

ISBN 978-977-844-655-5

الـورطة

رواية

محمد الغرباوي

إهداء

أهدي هذه الرواية إلى أبي الغالي/ رضا محمد الغرباوي.

أبي وأخي وسندي الذي بسببه كنت أنا.

وإلى والدتي العزيزة/ وردة حياتي ونور عيني ورفيقة دربي وملهمتي ومعلمي وأهم وأقوى دافع وداعم في حياتي.

وإلى زوجتي ورفيقة دربي وشريكة حياتي وشريكة نجاحي وكل دنيتي.

وإلى أخواتي اللاتي طالما ساندنني وكانوا الدافع دائمًا والسند.

وإلى أصدقائي الذين طالما ساندوني ودعموني حتى أصير إلى ما أنا فيه، ولكني أختص بالذكر صديقيَّ (محمد البدوي، محمد صلاح) فهما شريكان فيما وصلت إليه.

وإلى كل من له فضل عليَّ في حياتي أو تعلمت منه شيئًا فأنا مدين له بذلك، وأختص بالذكر أستاذي ومعلمي الكاتب والناقد:

الأستاذ (حاتم عبد الهادي السيد)، رئيس رابطة الأدباء العرب،

رئيس اتحاد الأدباء الأفرو-آسيوي، عضو اتحاد كتاب مصر.

محمد الغرباوي

خالد

قوات شرطة مجهزة لاقتحام أحد القصور في منطقة على أطراف المدينة، حولها المساحات الواسعة والأشجار العالية التي تشبه أشجار الغابات، تحاصر القوات القصر وتبدأ في الانتشار، كل جندي يحمل سلاحه، متأهب وجاهز للاشتباك، بقيادة الضابط المسؤول الذي جهز خطة لا مثيل لها في الاقتحام وتنفيذ المهمة، حيث إنه من المفترض أن يكون قد حسب حساب كل شيء، صغيرًا كان أو كبيرًا. وبينما هم كذلك، إذ تُطلق كلمة (اضرب) بصوت عالٍ، فتنفجر قنابل كانت محيطة بالفيلا، والواضح أن الهدف منها هو تدمير قوات الشرطة، ولكن لم تُنفذ في الوقت المناسب، فلم تتم إصابة الهدف المطلوب، بل كانت إصابات خفيفة.

ثم خرجت من القصر سيارات بها رجال مسلحون، اخترقوا سيارات قوات الشرطة وهربوا، فلاحقتهم القوات، وتم تبادل إطلاق النار بين الشرطة والعناصر المسلحة. وبعد مطاردة دامت حوالي ساعتين، وأثناء مطاردة سيارة من قوات الشرطة لإحدى سيارات العصابة، قامت سيارة أخرى بقطع الطريق على سيارة الشرطة، فحاول سائق سيارة الشرطة تفادي التصادم بها، ولكنه ارتطم بسيارة أخرى كانت بجوار الطريق. فقام الضابط الذي كان يستقل سيارة الشرطة بإطلاق النار على السيارة التي قطعت عليه الطريق، فاشتعلت وانفجرت في الحال قبل أن يتمكن مَن في السيارة من الهرب.

وقف الضابط الذي أطلق النار ينظر إلى السيارة المشتعلة، وعيناه تعكسان صورة لهيب النار الذي أحرق السيارة، ولم يأبه لتلك الصرخات الخارجة من السيارة نتيجة اشتعالها، وما هي إلا لحظات حتى سكن هذا الصوت، ولم يظل إلا صوت لهيب النار الذي كان يأكل كل شيء بالسيارة.

في تلك اللحظة قام "خالد" مفزوعًا من نومه من ذلك الحلم المفزع الذي طالما راوده في منامه... نفس المطاردة، ونفس السيارة تشتعل، ونفس العينين اللتين لم يظهر غيرهما من وجهٍ مُقنَّع لضابط يحمل على كتفه وصدره نسر الجمهورية!

جلس "خالد" على طرف السرير يلتقط أنفاسه، مد يده ليلتقط هاتفه ويتفقد الساعة، فوجدها تشير إلى الثانية ظهرًا، فقام ليبدل ملابسه التي قد نام بها دون أن يشعر من تعب سهرة أمس. خلع قميصه ليظهر جسد ممشوق مطرز بالعضلات، ثم التقط علبة سجائره من على الكومودينو بجوار السرير، وأشعل سيجارة، وظل يسحب سمومها داخل رئتيه، ثم نفخ دخانها إلى أعلى.

وضع سيجارته في مطفأته ودلف إلى الحمام ليأخذ حمامًا باردًا، ثم خرج بجسد قد تلألأت عليه حبات الماء. جلس في الصالون وركن على كرسي الأنتريه الذي كان مقابلاً لبرواز أعلى الحائط، عليه صورة رجل خمسيني وزوجته الحسناء، وعلى يسار البرواز شريط أسود علامة الحداد أو دليل على أن مَن في الصورة متوفى. ثم أشعل سيجارة أخرى وأخذ ينفخ دخانها في الهواء.

****

وعد

لكل قلعة حراس، وهذان الحارسان كانا يقفان أمام هذا الملهى وكأنهما يحرسان قلعة ملك من الملوك، أو أمير من الأمراء، ولكن ما الدافع ليقف رجلان عملاقان كهذَين أمام ملهى ممتلئ بالثمالى والسكارى؟ ولكن (ياما في الحبس مظاليم)!! فمنهم من دخل ليصرف أموالًا زائدة لديه لا يعرف أين يضعها، ومنهم من دخل ليبحث عن مثل هذا المال الذي لا يعرف أين يجده، ومنهم من لم تفهم ما دوره في هذا المجتمع الغريب كهذه الفتاة التي تجلس يوميًا على طاولتها تراقب ما يدور بداخل تلك الحانة.

دلفت إلى الحمام، ومكثت فيه وقتًا ليس بالقصير، ثم عادت، وعيناها بهما بقايا دموع كأنها أهدرتها جميعًا في هذا المكان، ثم خرجت لتستقل سيارتها وتعود إلى منزلها.

شقة في إحدى العمارات التي لا يعرف سكانها بعضهم، وليس لهم اختلاط ببعضهم البعض، فلو توفي أحدهم في إحدى الشقق لم يكتشف أحد ذلك إلا بعد ظهور عفن رائحته... دلفت إلى شقتها حيث الأثاث المتواضع، مارة بصورة والدتها المعلقة على الحائط، تلك الصورة التي تجمع بينها وبين أخيها مع أمها، ثم دخلت إلى غرفتها وجلست على حافة سريرها، وأخرجت من درج الكوميدينو بجوار سريرها كشكولًا تكتب فيه شيئًا وكأنها تدون مذكراتها، ثم تحتضن الكشكول وتخلد في النوم بجواره.

****

سيكا

أمام ذلك الكباريه بحارسيه العملاقين، وقفت سيارة أجرة "تاكسي"، نزل منها "خالد" وتظهر عليه علامات الإرهاق، دلف إلى داخل الحانة وجلس أمام البار، طلب مشروبًا ومازال يدعك رأسه بشدة من الصداع والألم الشديد الذي يتملكه، اقترب منه شاب ومال عليه.. كان يحدثه بصوت منخفض:

. إيه يا كوتش، شكلك مصدع؟

. أوي.

ألف سلامة عليك، محتاج مسكن؟

. ياريت.

. تعالى معايا.

أخذه الشاب إلى جانب في الحانة بعيدًا قليلًا عن الأنظار... أخرج من جيبه كيسًا صغيرًا وقال له:

. برشام ولا تذكرة؟

. تذكرة ياريت، برشام إيه ما ياكلش معايا!!

. طب ارمي بياضك.

أخرج خالد من جيبه نقودًا ووضعها في يده، دون أن يقوم بعدها، قائلًا:

. أبوس إيدك اديني بقى، أنا دماغي هتفرقع!!

أعطاه كيسًا صغيرًا به جرعة كوكايين، هذا ما يسمى بالتذكرة، أخذها خالد وأراد أن يفتحها أمام الناس، فصاح به غضبًا ولكن بصوت منخفض قائلًا:

. إنت اتجننت!!! ادخل الحمام التالت ومتخليش حد يشك فيك وانت خارج.

دخل خالد الحمام، ثم بعد دقائق خرج بمزاج معتدل، وعلى أنفه قليلٌ من آثار تلك السموم، فاستقبله ذلك الشاب بابتسامة قائلًا:

. شوفيتم.

. آاااااااه، عفيتم.

. شكلك كنت ضايع.

. أنا خلاص كنت هموت، لولا أنت أنقذتني.

سلم عليه قائلًا:

. سيد، والشهرة سيكا مزجانجي المكان.

. تشرفت بيك يا سيد، أنا خالد، وباين كده هبقى زبون المكان.

. تنور يا نجم، إذا احتجت أي حاجة في أي وقت أنا في الخدمة.

. تسلم يا مزجانجي، بس الصنف ده عالي أوي، ده اسمه إيه ده؟

. اسمه شخلعها ودلعها، عمومًا الفلوس اللي أنت اديتهالي كتير أوي، التذكرة بـ٤٠٠ بس، وأنت اديتني ١١٠٠، خد دي كمان تذكرة، والباقي هاعتبره عربون محبة.

. مايغلوش عليك يا عمهم، هما هايبقى ليهم لازمة من غيرك يعني؟

. بس مش حرام عليك نفسك؟ واحد باين عليك رياضي أوي، وتدمر نفسك كده؟

. متقلقش عليا يا كبير.

أراح ظهره على الكرسي قائلًا:

. مش كل حاجة بنعملها بتبقى باختيارنا يا سيكا، المهم ظبطني أنت بس، وأنا هافخم عليك.

. متقلقش، عنيا ليك، أسيبك أنا بقى علشان مبوظلكش الدماغ اللي عملتها، واشوف شغلي.

. قشطة يا برو...

ذهب خالد إلى البار مرة أخرى، وشرب مرة أخرى من تلك الزجاجات التي تحمل بداخلها ما يسكرهم دون أن تسكر هي أو تتأثر بشيء... تراقص على نغمات الأغاني والألحان، وتمايل مع الذين يتمايلون، وأخرج من جيبه أموالًا ورشها على الراقصة التي تتمايل وتتدلل عليه لتخرج ما في جيبه، حتى شعر بأنه نال قسط اليوم من المتعة... خرج من الكباريه واستقل سيارة تاكسي ليعود إلى منزله... سلم على البواب وركب المصعد إلى شقته، وعندما رآه البواب يتمايل ويتراقص هكذا، ضرب كفًا بالأخرى قائلًا:

عليه العوض ومنه العوض!!

دخل خالد إلى شقته وهو يدندن بعض الأغاني التي كان يتراقص عليها بالكباريه، ثم دلف إلى غرفته وارتمى على السرير، وخلد في النوم بملابسه من سكره وتعبه...

****

جلست تلك الفتاة التي تراقب الأجواء على طاولتها، فأتى إليها سيكا وجلس معها... سلم عليها، فردت السلام، قال:

إيه يا ست الكل: مساء الخير!!

ـ مساء النور، إيه الدنيا؟

الدنيا نايمة والله يا ست الكل، بس أهي ماشية.

ـ شكلك مابقتش عارف تمشي الدنيا، إيه، بتحب جديد ولا الشغلانة بقت كبيرة عليك؟

ليه بس كده يا ست الكل، إنتِ شايفة الجو عامل إزاي، وأنا عمري ما قصرت معاكي في حاجة، وعمومًا إن شاء الله فيه أخبار حلوة جاية في الطريق هاتفرحك.

ـ طيب، لما نشوف.

خدامك يا ست الكل، بالإذن أنا بقى، والحاجة هتلاقيها في مكانها.

ـ ماشي، روح.

دخلت الحمام كعادتها، وخرجت بعينين منهكتين من الدموع، ثم عادت إلى منزلها، وكتبت في كشكولها كالعادة، ثم خطت في نوم عميق.

****

أشرف

إستيقظ خالد من نومه متأخرًا بجسدٍ متكسر من كثرة النوم والسُكر.. قام وأمسك بهاتفه وتنقّل عبر مواقع التواصل الاجتماعي يتفقد الأخبار، ثم أشعل سيجارته، فدق جرس هاتفه إذ أتاه اتصال من شخص يُسمى أشرف.. وضع الهاتف على أذنه قائلًا:

- باشا حبيب قلبي، إيه الأخبار؟ أنا الحمد لله تمام والله، لأ جايبلك حاجة مزاج المزاج، لأ عيب عليك، أنا عمري قصّرت معاك؟ حبيب قلبي، صباحك عسل، مسافة الطريق هاخد دُش بس وأجيلك، سلام يا غالي.

أغلق هاتفه ووضعه بجواره، وهمَّ بالقيام من على السرير ليذهب إلى أشرف..

****

صالون فيلا فخمة ممتلئ بأثاثٍ ثمين نصفه ديكور فقط وأنتيكات، و{خالد وأشرف} يجلسان كلٌّ على كنبة من هذا الأنتريه الثمين. يظهر على أشرف آثار السعادة من هذا المخدر الذي أعطاه إياه خالد، قائلًا:

- الله على دماغك ومزاجك العالي يا ض يا خالد.

- عيب عليك يا كبير.. خالد دايمًا في الخدمة ودايمًا بيعدل المزاج.

- تسلم دماغك يا خَلّووووود.

- حبيبي يا كبير، المهم، بقولك إيه، مفيش حاجة كده بقى لخالد عشان يظبطلك مزاجك كمان وكمان؟

- إنت حبيبي يا خالد، ورا الشاشة اللي هناك دي هتلاقي حلاوتك.

- من يد ما نعدمها يا كبير، بس قولي هو الباشا جاي إمتى؟

- يومين كده إن شاء الله، عشان كده بتجيلي الفيلا هنا، بعد كده هنرجع تاني مكانًا.

- أنا في الخدمة يا غالي في أي مكان وفي أي وقت.

- طيب عامل حسابك على حفلة بعد بكرة ولا إيه؟

- طبعًا جاهز يا ريس، متشيلش هم، يلا سلام يا كبير.

- شد الباب وراك..

غادر خالد بعد أن أخذ النقود من خلف شاشة التلفاز وعاد إلى منزله.. فتح صندوقًا صغيرًا داخل خزانة ملابسه ووضع فيه الأموال قائلًا:

- يلا كده مبلغ مش بطّال، إمتى بقى الواحد ربنا هايتوب عليه من شغلانة الفكة دي، ويمسك فلوس بقى..

ذهب إلى بلكونته وأشعل سيجارته ونظر إلى الشارع وهو ينفخ دخان السيجارة إلى الأعلى وينفخ معها همومه.

****

مصلحة

دخل "خالد" إلى الكباريه وذهب إلى البار وطلب مشروبًا، فرآه "سيكا" من بعيد.. ذهب إليه وسلّم عليه سلامًا حارًا قائلًا:

- عم الناس اللي منوّر المكان.

- حبيبي يا سيكا، إيه الأخبار؟

- الحمد لله بخير، منوّر المكان يا زعيم.

- المكان منوّر بأهله يا غالي، ها عملت إيه في اللي قولتلك عليه؟

- يا ريس الحاجة موجودة بس السعر اللي إنت بتقول عليه ده يخسرني.

- ما هو بردو يا سيكا السعر اللي إنت بتقول عليه ده هيعورني، وإنت عارف أنا حَياالله دليڤري مش ديلر يعني، فلازم أطلعلي مصلحة.

من بعيد، تجلس الجميلة "وعد" تراقب الأجواء وبيدها كأسها، فأشارت برأسها لـ"سيكا" ليذهب إليها، فاستأذن من "خالد" قائلًا:

- طب، باقولك إيه، هستأذنك دقيقتين وراجعلك، شكلك هتطلعلك بمصلحة نار.

- خد راحتك، بس وجّب مع أخوك بقى!!

ذهب سيكا إلى وعد وسلّم عليها قائلًا، وخالد ينظر إليهما من مكانه!

- أوامرك يا ست الكل.

- ده مين اللي إنت مهتم بيه أوي وترحيب واهتمام ده؟!

- ده زبون جديد بس شكله وراه شغل كويس، وفيه وراه خبر حلو.

- طب قول الخبر الحلو، فرحني يا عم بدل ما أنا كل يوم بسمع الجو نايم وبتاع..

- الزبون ده عنده حفلة بتاعة حد من صحابه ومكلفينه يجيبلهم المزاج بتاعهم، بس بصراحة السعر اللي عايزه مش هاينفع معايا، إنتِ عارفة مبعرفش أشتغل شغل الجملة ده، يتخرب بيتي.
- يتخرب بيتك بردو ولا الطمع عاميك؟
- يا ست الكل، إنتِ عارفة إني في رقبتي كوم لحم و...
- بس يا عم، إنت هتشحت؟! هو عايز الكمية إمتى؟!
- الليلة.
- خلاص، هسيبها لك في مكانهم، بس إنت ضامنه ولا هيطلع تبع الحكومة ومزقوق علينا؟
- عيب يا ست الكل، إنتي عارفة سيكا ليه نظرة متخيبش، ثم أنا اللي في الوش يا هانم، وإنتِ بره اللية!!
- أظن إنت عارف قواعد اللعبة، مفيهاش معلش.
- متقلقيش عليا يا ست الكل، منتحرمش من عطفك وكرمك يا رب.
- طب يلا، زق عجلك.
- بالإذن يا ست الكل.

تركها وعاد إلى "خالد" فاعتذر منه قائلًا:

- معلش اتأخرت عليك يا كبير.
- لا ولا يهمك، بس مين الجميلة؟
- دي زبونة المكان هنا من زمان، إيه عجبتك؟

أجاب ولم يبعد عينه من ناحيتها قائلًا بغمزةٍ:

- أوي.
- طب ابعد عنها علشان دي مش سهلة ولا بتاعة كلام وماحدش بيقدر ياخد منها كلمة.

- أحب أنا الشرس، ألمهم يا عم، خلينا في شغلنا الأول، قولت إيه؟
- بص يا عم، علشان إنت حبيبي، بس هاعمل معاك واجب حلو، زود معاك باكوين وقابلني كمان ساعتين في آخر الشارع بتاع الكباريه.
- مافيش باكوين، هو باكو واحد، ومافيش نص كلمة بعد كده.
- مش سهل إنت يا خالد، وعموماً ماشي يا عم، مش هايغلى عليك الباكو.
- أوك، اتفقنا، أسبقك أنا..

انصرف "خالد" مارًا بالطاولة التي تجلس عليها "وعد".. جلس أمامها، قال:

- تسمحيلي بكلمة!!

لم ترد عليه إلا بنظرة استغراب شديد.. قاطعها بقوله:

- إنتي زي القمر أوي.

انصرف على الفور دون أن ينتظر منها ردًا، فظلت مستغربة وشردت بذهنها فيما قال.

انصرفت واستقلت سيارتها وعادت إلى منزلها، وقامت بتبديل ملابسها، وأخرجت كشكولها لتكتب فيه، وارتسمت على وجهها علامات السعادة مما قال لها ذلك الشاب. ظلت تكتب في كشكولها، ثم احتضنته بقوة وارتمت على ظهرها على سريرها، ثم خلدت إلى النوم.

****

صديقٌ جديد

جلس "خالد" مع "سيكا" في الكباريه على طاولة يتسامران، فدخلت عليهما "وعد".. سلّمت على "سيكا" قائلةً:

- إزيك يا سيكا؟

تسلمي يا ست الكل، الحمد لله بخير.

- إيه، مش ناوي تعرفنا بضيوفك؟

لا، ده خالد.. بقى صاحب مكان خلاص، من المقربين يعني، ودي يا سيدي الآنسة وعد، تقدر تقول كده نور المكان.

مد خالد يده مسلِّمًا عليها قائلاً:

تشرفنا.

- ميرسي.

أشارت إلى "سيكا" بنظرة خفيفة لينصرف، فاستأذن "سيكا" قائلاً:

طب بالإذن، أنا بقى عندي مصلحة كده.

انصرف "سيكا" بعدما أذن له "خالد" و"وعد"، فقالت "وعد":

وانت بقى متعود تعاكس أي واحدة كده؟

- أي واحدة كده إزاي!! هو أنا عاكست حد دلوقتي؟

أمال اللي أنت عملته المرة اللي فاتت ده إيه؟

- آاااااااه، لأ، ده أنا كنت بأبدي رأيي بكل صراحة.

بكل صراحة؟

- بكل صراحة!!

ومين بقى اللي طلب رأيك؟

- القمر ما بيطلبش رأي حد فيه، إحنا بس اللي بنقعد نتغزل فيه عشان يزيد مقامنا.

أمممممم، شكلك حلنجي وبتاع كلام!!!!!!

- أنا؟ أبدًا والله، دي الصراحة بس، مش أكتر.

ماشي، أنا "وعد" صحفية.

- وأنا "خالد" مدرس تربية رياضية، أو كنت...

استأذنت "وعد" للمغادرة بعدما دار بينهما حديث كلاسيكي بالتعارف.

- أوك، اتفضلي، هشوفك تاني؟

أنا باجي هنا على طول.

- طب ممكن رقم تليفونك؟ يعني عشان لو يعني.....

أخذت "وعد" هاتفه وسجّلت رقمها على هاتفه، فظهر لديها رقمه على شاشة هاتفها، ثم سلّمت عليه وغادرت.

عادا إلى منزلهما، وتبادلا الحديث على برنامج الواتس آب، وعلى الهاتف، وظلا يتقابلان كثيرًا في الكباريه، فتكوّنت بينهما علاقة صداقة قوية، لكن دون أن يعلم "خالد" أنها هي المسؤولة عن توصيل المخدرات إلى "سيكا".

وذات يوم كان لديها ميعاد بالإسكندرية ومعها "سيكا"، فاقترح عليها "خالد" أن يذهب معها، فوافقت واتفقوا على ميعاد التحرك.

****

الثقة

جاء ميعاد التحرك، وسلكوا الطريق الصحراوي، وأثناء سيرهما رأوا أمامهما من بعيد كمين شرطة، تقف أمامه طابور سيارات طويل، مما أكد على أن الضابط الذي بالكمين يقوم بتفتيش السيارات، فارتبكت "وعد" وخافت كثيرًا، وبدأت في تقليل سرعة سيارتها قائلة:

يا نهار أسود، إيه اللي جاب الكمين ده هنا؟

فرد "سيكا"، وقد ظهرت عليه علامات القلق أيضًا، قال:

ـ مش عارف، المفروض مفيش أكمنة هنا!!

طب إيه العمل؟!

ـ طب اقفي ولفي يا آنسة.

مينفعش يا سيكا، إنت عارف إن فيه رادار هنا.

رد "خالد" باستغراب، فهو لم يفهم ما يجري، قائلاً:

ـ طب وفيها إيه يا جماعة؟ هيا فيه مشاكل في الرخص ولا إيه؟!

لم يعيروه انتباهًا، ورد "سيكا":

ـ طب هاتي الحاجة اللي معاكي يا آنسة، وأنا واحد بتوصليه متعرفيش عني حاجة.

طب وليه؟ إنت ذنبك إيه يا سيكا؟

ـ لحم كتافي من خيرك يا آنسة، بس بالله عليكي خدي بالك من عيالي ومراتي.

تدخل "خالد" في الحديث مرة أخرى قائلاً:

ـ يا جماعة، أنا مش فاهم حاجة، حاجة إيه يا سيكا؟! إنتوا قلقتوا قوي كده ليه؟!

لم يعيروه انتباهًا، وردت "وعد":

إنت ملكش ذنب يا سيكا، حرام!!

رد "سيكا" بعصبية، فالوقت الضائع لا يسمح بنقاش أو كثرة الكلام:

ـ يا ست الكل، هاتي الحاجة الله يخليكي، مفيش وقت... خلاص، انتهت.

أعطته حقيبة صغيرة أكبر من كف اليد بقليل، فرد خالد قائلاً:

ـ آاااااه، فهمت.

ثم سألها:

ـ معاكي استبن؟

آه.

ـ طب اركني على جنب، ومالكيش دعوة.

ردت "وعد" بارتباك قائلة:

مش هينفع يا خالد، إحنا قدام الكمين.

ـ يا ستي، بقولك اقفي ومالكيش دعوة.

وقفت "وعد" بالسيارة على بعد حوالي مائتي متر من الكمين، ونزل "خالد" قائلاً لـ"سيكا":

ـ هات الشنطة اللي معاك بسرعة، براحة، وتعالى ورايا.

نزل "سيكا" من السيارة خلف "خالد"، فأخرج "خالد" من حزامه مطواة وخرق بها الإطار الخلفي للسيارة، وأمر "سيكا" بالضغط عليها حتى تخرج كمية الهواء التي بها، وقام هو بدفن الحقيبة الصغيرة في الرمل بجوار السيارة، وأخذ يبدل الإطار الذي ثقبه.

فلما رآهم الضابط الذي بالكمين، وقد وقفوا بعيدًا، ذهب إليهم مسرعًا ليرى لماذا توقفوا هنا؟

فلما ذهب إليهم الضابط وجدهم يبدلون إطار سيارتهم الذي ثقب، فأخذ منهم البطاقات الشخصية ورخص السيارة، وقام بتفتيش السيارة تفتيشًا دقيقًا، وفتشهم تفتيشًا ذاتيًا فلم يجد أي شيء، فتركهم وغادر.

وبعد أن بدّلوا إطار سيارتهم مروا من الكمين دون تفتيش مرة ثانية، وأخذوا منه البطاقات الشخصية بعدما قام الضابط بالتحري عنهم.

عمّ الصمت في السيارة، ثم بعد دقائق قال "خالد" مطمئنًا "وعد":

ـ متقلقيش، الدار أمان، أكيد "سيكا" معرفك أنا مين، بس أنا اللي مكنتش أعرف إنتي مين.

وأديك عرفت يا سيدي، بس بجد أنا مش عارفة أشكرك إزاي، أنا مديونة لك بروحي باللي إنت عملته ده.

تدخل "سيكا" في الحوار:

ـ أنا كمان مديون لك يا خالد بعمري، بجد إنت أنقذتنا، إحنا كنا هنودّي نفسنا في داهية لولا تصرفك ده.

رد عليهم "خالد":

ـ يا جماعة، مفيش بينا الكلام ده، إحنا في مركب واحدة، بس لازم تبقوا أجمد من كده.

أخذوا يتبادلون الحديث والمرح طوال الطريق، حتى وصلوا الكافيه الذي كانوا يقصدونه ليتمّوا مصلحتهم.

وقبل أن ينزلوا من السيارة قالت "وعد" لـ"سيكا":

معلش يا سيكا، هتاخد العجلة تصلحها لما نشوف هنعمل إيه، وكلم الناس، اعتذر لهم، وعرّفهم اللي حصل، وقولهم إننا هانعوضهم.

ـ متقلقيش يا ست الكل، وأنا خلاص حفظت المكان اللي فيه الحاجة، بعدين هبقى آخد عربية وأروح أجيبها.

ابتسم "خالد" قائلًا:

ـ إنتوا بتحكوا في إيه يا جماعة؟ كلم الناس يا سيكا، الموضوع يتم في ميعاده عادي، روح صلح العجلة، بس خلي بالك وإنت بتشيلها عشان فيها حاجة تخصك.

انبهر "سيكا" وذهب إلى حقيبة السيارة، فوجد الحقيبة التي بها المخدرات داخل إطار السيارة المثقوب، قد وضعها "خالد" في حركة سريعة بعدما غيّر الإطار وتم تفتيشهم، فرفض أن يتركها ويعودوا إليها مرة أخرى.

فعاد "سيكا" بانبهار قائلاً لـ"خالد":

ـ إنت جبتها إزاي؟

ـ ياعم، هو إحنا فاضيين بقه نرجع تاني بعربية، والله أعلم إيه اللي هيحصل في الطريق، مش كفاية العطلة بتاعة تغيير العجلة.

ردت "وعد" بانبهار وإعجاب قائلة:

أنا بجد مش عارفة أشكرك إزاي!!! وإنت كمان يا سيكا، بجد مش عارفة أشكرك إزاي؟ إنت كنت بتضحي بنفسك عشاني.

ـ متقوليش كده يا ست الكل، لحم كتافي من خيرك، أفديكي برقبتي.

متشكرة قوي يا سيكا، بجد، طب خلاص روح خلص إنت الموضوع ده، وتعالى اتغدى معانا.

ذهب "سيكا" لينفذ ما طلبته منه الآنسة "وعد"، ودخل "خالد" و"وعد" إلى الكافيه.

كافيه على شاطئ الإسكندرية، جلسوا على طاولة في جانب الكافيه، وقالت:

بجد أنا مش عارفة أقولك إيه؟ وعاجبني قوي تصرفك وثباتك.

ـ مهو أصل الحاجات الكبيرة دي محتاجة رجالة، أنا مش عارف إيه اللي بيخرجكم من المطبخ!!!

لا والله!!!!! هتسوق فيها بقه ولا إيه؟

ـ لا يا ستي، مش هسوق ولا حاجة، أنا بهزر، بس ابقى عدي الجمايل يعني.

ردت "وعد" بابتسامة قائلة:

ماشي ياعم، هعد.

عمّ الصمت للحظات، ثم قطع "خالد" هذا الصمت وهو يقول:

ـ هو أنا ممكن أسأل سؤال؟

ردت عليه "وعد":

سيكا هو اللي شغال معايا.

- وإيه عرفك إني هسأل السؤال ده؟

أكيد مفيش سؤال تاني ممكن يتسأل في موقف زي ده!!

- أمممم، بس تعرفي، أنا ما استغربتش أو ما اتصدمتش.

ليه يعني؟

- أصل بصراحة مش طبيعي يعني إن واحدة زي القمر زيك كده يبقى لقبها "ست الكل" من واحد ديلر، وأنا عارف إنه ديلر.

وأديك عرفت!!! تفتكر هيفيدك بحاجة؟

- بصراحة هيفيدني.

إزاي بقى؟

- أنا محتاج شغل.

وأنت مش شغال مدرس، وبتشتغل بالمصالح اللي بتطلعها من ورا سيكا؟

- لا، مدرس إيه، مهو أنا قولتلك أنا واخد إجازة بقالى فترة بدون مرتب، وبصراحة زهقت من شغلانة الديلفري والفكة دي.. عايز شغلانة فلوسها تكون كويسة، لإني محتاج فلوس.

ينفع أعرف ليه محتاج فلوس؟

- أصلي داخل على مشروع جديد.

طب، وهو اللي داخل على مشروع يجيب فلوسه من حاجة زي كده؟

- مش دايمًا بنختار كل حاجة بنعملها يا وعد.

أمممم، أوك، أوعدك هساعدك، وأنا محتاجاك معايا الفترة دي.

. معاكي، واعتبريني دراعك اليمين، وأظن إنتي عملتيلي "انترفيو" من قبل ما أقدم على الوظيفة كمان أهو...

ونجحت كمان ياعم.

. طب بقولك إيه؟ حلاوة النجاح بقى، ما تيجي نتمشى شوية، الجو جميل أوي.

أوك، موافقة.

كثرت المواعيد والعمل بين خالد ووعد، ووثقت به، وجعلته بمثابة الذراع الأيمن لها، أو الرجل الأول لديها.

****

الريس كارم

خطوات أقدام تسير نحو طاولة في منتصف مطعم فخم ليس به أي زبائن سوى طاولة واحدة في منتصف المطعم، يجلس عليها – الريس كارم – وحوله الكثير من الحرس، فتصل إليه تلك الأقدام وتجلس أمامه قائلة:

طلبتني ضروري، اتفضل.

طرح أمامها ظرفًا كبيرًا أبيض، أخذته وعد وفتحته، فإذا به صور لها مع خالد، مرة على الشاطئ وأخرى في مطعم وثالثة في الكباريه، وغيرهم في أماكن مختلفة. ردت بابتسامة قائلة:

إيه الجديد!!! ما أنت على طول بتراقبني وتصورني.

. لا معلش مش براقبك، اسمها باخد بالي من اللي شغالين معايا عشان أعرف أحميهم.

ردت وعد بلهجة سخرية قائلة:

ميرسي جدًا ليك بجد.

. قوليلي بقى، من إمتى وإحنا بنشتغل بمزاجنا وبدماغنا؟

آه قصدك خالد.

. برافو عليكي، من إمتى بنشغل معانا حد لا بنعرف له أصل ولا فصل؟!

كفاية إنكم عارفين عنه كل حاجة، يعني حاجة زي دي مش هتخيل عليكم، أكيد جبتوا أصله وفصله وسيرة حياته، وأنا مش محتاجة أعرفها.

- براحتك، بس خدي بالك، إنتِ مين وإيه، ولو وقعتي هيحصل إيه؟! بالذات لو بغلطة منك.

ردت وعد بعصبية قائلة:

مش كل مرة هتصدعني بالأسطوانة دي، أنا ما غلطتش في حاجة وماشية على حسب الأوامر بالضبط، وأكيد انتوا عارفين هو مين، ولو فيه حاجة كان زمانكم اتصرفتوا من بدري، أنا مش مستحملة، كفاية اللي بيعمله فيا.

- حبيت أفكرك بس.

متشكرة، وأعتقد حضرتك مش جايبني هنا عشان تذكرني بس.

طرح عليها ملفًا قائلًا:

- دي تفاصيل العملية الجديدة.

فتحت وعد الملف وقالت باستغراب وهي متفاجئة:

واشمعنى بقى المكان ده؟

- وإنتِ إيه مشكلتك مع المكان ده؟

أظن حضرتك عارف إني صحفية، وعارف إن المكان ده ما ينفعش فيه شغل زي ده.

- ما هو عشان إنتِ صحفية ومعاكي كارنيهك وليكي علاقاتك، أكيد فانتي اللي هتعرفي تنفذي العملية دي، وبعدين دي فيها ترقية.

مش عايزة ترقية ولا نيلة.

- وإنتِ حد قالك إني باخد رأيك، يلا قومي اجهزي، الكلام خلص، وياريت بلاش تاخدي الحبوب معاكي، اجهزي وهبعتلك المعاد بالضبط.

وأنا مش عايزة أنفذ العملية دي.

- نورتي.

بقولك مش...

نظر إليها بشدة وكرر نفس الكلمة:

(نورتي)

فأخذت وعد الملف والصور وغادرت باكية في سيارتها، وسط نغمات الهاتف كان خالد يتصل دون أن تجيب، حتى وصلت إلى منزلها وارتمت على سريرها باكية، ثم أخرجت من درج الكوميدينو بجوارها ألبوم صور به صور والدتها وأخيها، ثم أخرجت كشكولها وكتبت فيه أيضًا، ثم غطت في نوم عميق بملابسها دون أن تشعر بجوار كشكولها وألبوم الصور.

****

البداية

جلس خالد على كرسي الأنتريه في منزله، وقام بعدة اتصالات بوعد، ولكنها لم ترد، وذهب إلى الكباريه ليبحث عنها فلم يجدها، ولما سأل عنها سيكا قال إنه لم يرها منذ يومين أيضًا، وقام بالاتصال بها ولكن هاتفها قد أغلق، فأنتاب خالد القلق وذهب إلى منزلها يسأل عنها ولكنه لم يجدها ولم تجب عليه، ولما سأل عنها البواب أخبره أنه رآها منذ يومين تحمل حقيبة سفر، وحين سألها أين ذاهبة لم تجبه، فتوقع خالد أنها ربما ذهبت إلى والدتها في بلدتهم، فذهب أيضًا إليها في محافظة كفر الشيخ.

****

حديقة منزل صغيرة تلعب فيها وعد مع أخيها يوسف، الذي يبلغ من العمر اثنتا عشرة عامًا، يمرحون بينما تدخل عليهم سيدة تكاد تبلغ من العمر حوالي الخمسين، قائلة:

وعد.

ـ نعم يا ماما.

فيه حد بره عايزك يا حبيبتي.

ـ حد مين؟

مقالش، قالي قولي لها حد زميلك وخلاص.

خرجت وعد لترى من هذا، فوجدت خالد يقف مستندًا على سيارته، قائلًا:

جميلة قوي كفر الشيخ، والأجمل الناس العسل اللي فيها.

- يعني إنت جاي هنا تعاكسني؟

لا طبعًا، أنا قصدي على ماما، إيه، هفضل واقف كده على الباب كتير؟ إنتوا بخلا ولا إيه؟

- اتفضل يا خالد.

عرفته على والدتها وأخيها، وقدمته لوالدتها على أنه زميلها في الجريدة.

كان حينها موعد الغداء، فقامت والدتها بإحضار الطعام، وتناولوا معًا الغداء وأعجبه الطعام كثيرًا، مما جعله يبدي إعجابه به ويشكر والدتها عليه.

خرجا يتسامران في حديقة المنزل، فبدأ خالد الحديث قائلًا:

جميل بيتكم بجد.

- آه، أنا بحس هنا براحة نفسية مش بحسها في أي مكان في العالم.

آه، واضح فعلًا، عشان كده قفلتي تليفونك ومعرفتيش حد إنك جاية هنا، صح؟

- مش كده بس، أنا فعلًا كنت محتاجة أفصل شوية.

حقك، بس على الأقل تعرفي الناس اللي ممكن يقلقوا عليكي، تطمنيهم حتى.

- حقك عليا، أنا آسفة.

طب قوليلي، مالك؟

- مالي إيه؟ أنا كويسة، مفيش حاجة.

طب هسأل السؤال بصيغة تانية يمكن تختلف، إيه اللي حصل؟

ـ حصل في إيه؟ مفيش حاجة.

كلامك مش منطقي على فكرة، إحنا كنا قبلها بيوم سوا، ومكانش فيه أي حاجة يعني.

ـ عادي يعني، أنا بحب كده كل فترة أعمل هدنة مع نفسي.

وهو لما تحبي تعملي هدنة تقلقي الناس اللي بتحبك عليكي؟

ـ لأ طبعًا مش قصدي أكيد، بس عادي يعني.

أمممم أوك.

تركها وهمّ بالمغادرة وهو حزين، فقالت بلهجة اعتذار:

ـ استنى بس، ما أقصدش والله، رايح فين؟

خلاص همشي طالما وجودي شكله هيبوظ الهدنة بتاعتك.

ـ ما أقصدش والله كده، خلاص بقى يا عم!!

طب فيه إيه يا وعد؟ إيه اللي حصل؟

ـ يووووه، برضو يا عم، مفيش حاجة.

تاني؟

ـ يا عم خلاص بقى، فيه عملية جديدة!!

طب وإيه الجديد فيها؟

ـ شكلها الأخيرة.

ليه، ناوية تبطلي؟

ـ شكلها كده.

طب والناس اللي إنتِ شغالة معاهم هيسيبوكى؟

. شكلهم هما اللي بيمضوا استقالتي أصلًا.

لا، بقولك إيه!!! أنا ما بحبش الألغاز، فيه إيه؟ احكي على طول.

. شكلهم عايزين يسلموني!!

إيه؟؟؟؟ إيه اللي إنتِ بتقوليه ده؟ ليه بتقولي كده؟

. العملية الجاية تقيلة عن كل مرة، وفي مكان ما ينفعش فيه عمليات.

ليه ما ينفعش فيه عمليات؟

. مكان سكني ما ينفعش فيه حاجة زي كده، وفيه شخصيات كتيرة مهمة، وأنا معروفة هناك.

وفين المكان ده؟

. عايزيني أستلم العملية الجاية في التجمع.

طب وهو إنتِ ما ينفعش ترفضي؟ أو تحددي إنتِ المكان؟

. ما هو إنت ما تعرفش حاجة.

طب عرفيني يمكن أساعدك.

. معلش يا خالد، أنا آسفة، مش قادرة أتكلم في حاجة.

ماشي، مش هضغط عليكي دلوقتي، بس هو يعني ما ينفعش ترفضي؟

. لأ.

مش هسألك ليه عشان ده نفس السؤال اللي فات، بس إنتِ ناوية تعملي إيه؟

. مش كل حاجة بنعملها بتبقى باختيارنا يا خالد، مش ده كلامك؟ مقداميش اختيار غير إني أنفذ، بالله عليك يا خالد، لو جرالي حاجة تاخد بالك من ماما وأخويا، دول مالهمش غيري.

متقلقيش، ما ينفعش يجرالك حاجة وأنا معاكي.

. معايا فين؟ لأ طبعًا، مش هينفع تكون معايا.

هو إيه اللي مش هينفع أكون معاكي؟ وده من إمتى بقى؟

. من دلوقتي يا خالد، معلش، لازم تكون إنت بعيد.

هو إحنا مش شركاء ولا إيه؟

. شركاء وكل حاجة، بس معلش والنبي يا خالد، لازم تكون إنت بعيد المرة دي.

وعد، مش إحنا متفقين على المرة والحلوة سوا، وأنا بصراحة دوقت الحلوة، وعايز أدوق المرة.

. علشان خاطري والنبي يا خالد، خليك إنت بعيد.

لا، مش هكون بعيد، خلاص خلص الكلام، العملية إمتى؟

. بعد ٣ أيام.

طيب، لازم نظبط نفسنا ونحط خطة ونشوف هنعمل إيه وهنأمن نفسنا إزاي؟ بس يلا دلوقتي، عشان ماما بتبص علينا وشكلها بتنادي، وعلشان متاخدش بالها من حاجة.

يذهبان إلى والدتها حيث جهزت الحلوى، فيتناولوها جميعًا وسط مرح وهزار، حتى مجيء الظلام، فيجلس خالد مع وعد يتشاوران في احتياطاتهم للعملية، وكيف سيأمنوا أنفسهم، وبعد الاتفاق قال خالد:

المهم، مفيش وقت، إحنا لازم ننزل بكره القاهرة عشان ننفذ اللي اتفقنا عليه ونظبط مع الرجالة.

- أوك، تمام إن شاء الله.

تصمت وعد لبرهة ثم تقول:

- هو أنا ممكن أطلب منك طلب؟

أكيد، اتفضلي.

- والنبي، متخليك إنت بعيد عن العملية المرة دي، عشان خطري.

يا دي النيلة، هو إحنا اللي هنقوله هنعيده؟ هو إنتوا زنانين كده ليه؟

- خلاص يا عم بالراحة، أنا الحق عليا اللي خايفة عليك.

لا يا أختي، خافي على نفسك إنتي بس، إنتِ ناسية لما بتشوفي الحكومة بتضربي لخمة إزاي؟

- خلاص يا عم، قولنا متشكرين، إنت هتذلنا بقى ولا إيه؟

لا يا ستي، أنا لا هذلك ولا حاجة، أنا بفكرك بس، أصلك بتنسي.

ابتسمت وعد ابتسامة حفظ الجميل قائلة:

- لا، مش بنسى!!

****

عادوا إلى القاهرة في اليوم التالي، وذهبت وعد لتجهز نفسها للعملية، ثم توجهت نحو الكباريه، وقابلت سيكا، واتفقا أيضًا على مهمته في الخطة، بينما ذهب خالد إلى رجال على علاقة بهم ليأمنوه أثناء تنفيذ العملية.

وفي اليوم التالي، تقابل هو ووعد على كورنيش النيل بالمعادي، وبينما هما يتسامران، همّ خالد بالاعتراف لوعد بحبه لها، إلا أن رسالة جاءتها فامتقع وجهها، وشعرت بصدمة قوية. خاطبها خالد بلهفة:

فيه إيه يا وعد؟ إيه اللي حصل؟

- العملية دلوقتي.

عملية إيه اللي دلوقتي؟ مش المفروض معادها بكره؟

- غيروا معاد ومكان العملية، وبقت كمان ساعتين.

المكان الجديد فين؟

- قالولي اطلعي على صحراوي إسكندرية، وهيبعتولي اللوكيشن هناك.

طب إحنا كده لازم نكلم الرجالة اللي متفقين معاهم، وإلا هنبقى ما عملناش حاجة.

- خالد، هما شكلهم عارفين اللي إحنا بنعمله واللي بنخطط له، عشان كده عايزين يبوظولنا خططنا، شكلهم فعلًا ناويين يوقعونا.

متقلقيش، أنا هكلم الرجالة، وإن شاء الله كل حاجة هتبقى تمام.

قام خالد بالاتصال بالرجال الذين اتفق معهم على تأمينه، ولكنه وجد كل هواتفهم مغلقة!!

توترت وعد أكثر، قائلة:

. أنا مش متطمنة، والنبي يا خالد، خليك إنت بعيد، عشان لو جرالي حاجة تاخد بالك من ماما وأخويا، على الأقل تقدر تساعدني وإنت بره.

رد خالد بعصبية وتحدٍ قائلًا:

يووووه، هو إحنا كل شوية هنعيده؟ قولتلك مش هيجرالك حاجة، إنتِ فاهمة؟ ولو جرالك حاجة يبقى أنا ميت. إحنا هنعمل العملية غصب عن عين الكل، وكده هما اللي بدأوا.

ركبا السيارة، وجلس خالد على كرسي القيادة. كانت وعد متوترة، فلم تستطع القيادة، وأثناء الطريق كان خالد ينظر لوعد نظرات طمأنة، وكأنه يقول لها: "لا تقلقي، فأنا بجوارك يا حبيبتي".

عمّ الصمت السيارة، ثم قطع خالد هذا الصمت قائلًا:

طب فين الفلوس اللي هتستلمي بيها، ولا إيه النظام؟

. لا يا عم، ده نظام قديم، أنا بستلم البضاعة بس وبوزعها حسب ما بيدوني الأوامر، إنما الفلوس دي بتبقى عن طريق البنوك وحسابات، وشغل غسيل أموال بينهم، وليلة كبيرة.

اممم، عمومًا متقلقيش، كل حاجة هتمشي كويس إن شاء الله، أنا معاكي يا وعد.

دق هاتف وعد بوصول رسالة، ففتحته ووجدت مكان التسليم، فقالت:

. بعتولي المكان.

فين؟

. الكيلو ٦٤.

أوك، متقلقيش، فاضل حوالي عشرين كيلو ونوصله، ما تقلقيش بقى والله أنا معاكي.

وصلوا بداية طريق الكيلو ٦٤، وإذا بلافتة طريق مكتوب عليها "الكيلو ٦٤" وعليها سهم متجه لمكان الدخول، فدخلوا من هذا الاتجاه حتى وصلوا إلى المكان الذي أرسل إليهم في اللوكيشن.

دخل خالد، فوجد سيارتين سوداويتين، أُشعل نورهما فور اقتراب خالد بسيارته إليهم، فأشعل خالد ضوء سيارته العالي، ثم أطفأه، ونزل هو ووعد من السيارة، بينما نزل من كل سيارة من السيارتين الأخريين شابين مسلحين.

فأشار أحدهما لوعد قائلًا:

- إيه يا ست وعد، مين اللي معاكي ده؟

- ده شريكي.

- بس الكبير مؤكّد عليا إنك جاية لوحدك.

- والله دي حاجة تخصني أنا، ده شريكي وهو عارف.

يتقدم منه خالد قائلًا:

- ما هي قالتلك شريكها، إنت ليه غاوي كلام كتير؟ مهمتك تسلملها البضاعة، مالكش فيه بقى مين معاها ولا مش معاها.

يشهر سلاحه في رأس خالد، قائلًا:

- وأنا إيه اللي يضمني؟ إنت مين أصلًا؟

ده على أساس إنك أول مرة تتعامل مع الآنسة!!!

يتدخل الشاب الآخر، الذي نزل معه من نفس سيارته، قائلًا:

- خلاص يا ممدوح، اديه الحاجة وكلامنا مع الكبير.

أشار ممدوح إلى أحد الشباب الذي نزل من السيارة الأخرى، فأحضر من سيارتهم شنطة جلد، أعطاها لخالد. ففتحها خالد ليرى ما بها، فوجد بها مخدرات، فأغلقها، وعاد إلى وعد وهو ينظر إلى ممدوح نظرة تحدٍ، بينما كان ممدوح يبادله نفس النظرة.

وفي هذه الأثناء، هجمت عليهم قوات الشرطة مطلقة صافرتها، وبدأت في إطلاق طلقات رصاص عشوائية لجبرهم على الاستسلام، ففر الجميع هاربين، بينما أطلق ممدوح على خالد الرصاص، قائلًا:

بتسلمنا يا ابن الـ&&&&.

****

الاختبار

جلس الريس كارم في مكتبه، وعلى يمينه جابر، شاب ضخم كان بمثابة الذراع الأيمن للريس كارم، فنظر إليه الريس كارم قائلاً:

الرجالة في مكانها؟

ـ كله زي ما أمرت سعادتك، بس معلش مش فاهم ليه حضرتك عملت كده، دي مهما كان واحدة مننا، لو هو مش عاجبك أأمرني وأنا أخلصك منه، إنما ليه هي؟

هتفضل طول عمرك تلميذ، هي بتاعتنا وهتنفذ شغلها، إنما المعاد القديم زي ما هو، لو الشرطة راحت عليه يبقى الحكومة عايزانا إحنا، إنما لو راحت وراه بس يبقى هو اللي فيه المشكلة، إما إنه متراقب أو عايزينه، فهيقدر يتعامل معاهم، إنما لو طلع تبعهم ومزقوق علينا بقى، فيتقبض عليهم ويحاول يجيب رجلينا في الموضوع، وساعتها إنت عارف المفروض يحصل إيه.

ـ تسلم دماغك يا ريس.

اتعلم يا غشيم.

ـ تلميذك يا ريس.

****

تمت عملية التمويه التي بالتجمع الخامس، حيث لم تقم قوات الشرطة بالهجوم على الرجال المكلفين بتنفيذ هذه المهمة في أحد المطاعم، ووصلت الأخبار للريس كارم، وانتظر أخبار العملية الأخرى التي بها وعد.

****

الهروب

بعدما ظن ممدوح أن خالد هو الذي قام بالإبلاغ عن العملية، أطلق عليه الرصاص حتى أصابه في ذراعه الأيسر الذي كان يحمل به الحقيبة، مما جعلها تنفلت منه... أخذت قوات الشرطة في ملاحقتهم، واستطاع خالد ووعد أن يتمكنا من الهرب، بينما ألقت الشرطة القبض على البقية. ولم يجد خالد مكانًا يهرب إليه سوى أن يذهب إلى الإسكندرية، وفي طريقهما، وقبل الوصول، ظهرت علامات التعب على خالد، حيث أنه نزف دماءً كثيرة إثر الرصاصة التي أصابته في ذراعه الأيسر، وبدأ الدخول في حالة الإغماء، فأوقفته وعد على جانب الطريق، وأخذت تقود السيارة لتذهب به إلى صديقة لها في الإسكندرية، طبيبة...

ساندت خالد حتى صعدت به شقتها، وكانت الساعة الرابعة فجرًا، ولم يكن هناك أحد في الشوارع فلم يلاحظها أحد.

أخذت الطبيبة تعالج خالد وأخرجت الرصاصة من ذراعه وداوته، وعلقت له محلولًا، بينما نزلت وعد وأخذت سيارتها وأوقفتها على الكورنيش في مكان لا يوجد به كاميرات حتى لا تتم متابعتها والوصول إلى شقة صديقتها، وأخذت من السيارة كل متعلقاتها وما يدل عليها حتى لا يتم الكشف عن هويتها، وعادت إلى صديقتها مع شروق الشمس.

ظلت وعد بجوار خالد وهو في غيبوبته حتى أفاق واطمأنت عليه وطمأنته عليها، فسألها:

إحنا فين؟

ـ متقلقش، إحنا في مكان أمان.

فين يعني؟

- يا عم متقلقش، عند واحدة صاحبتي، وأمان ما تخافش.

البضاعة مش معانا، صح؟

- للأسف مش معانا.

طب والمفروض إيه اللي يحصل دلوقتي؟

- معرفش، بس هروحلهم وهما اللي هيعملوا.

مينفعش تروحي وانتي مش معاكي البضاعة، ده ممكن يقتلوكي.

- ومينفعش ما أروحش.

ده ليه بقى؟

- هيأذوا أهلي.

حالًا نروح ناخدهم ونهرب.

- مش هنلحق، زمانهم أصلًا قاعدين معاهم.

يعني إيه؟

- معلش يا خالد، إنت تعبان دلوقتي، مش وقت كلام.

ما هو أنا لازم أفهم، معناه إيه كلامك ده؟

- معلش يا خالد، فيه حاجات إنت لسه متعرفهاش.

طب ممكن أعرفها؟

- صدقني مفيش وقت، لازم أتحرك دلوقتي.

خلاص، رجلي على رجلك.

ـ رجلك على رجل مين؟ مش هينفع طبعًا.

مستحيل هتتحركي لوحدك، ولا أسيبك تروحي لوحدك.

ـ يا خالد، والنبي اسمع كلامي مرة واحدة.

إنتِ اللي تسمعي كلامي، إنتِ شايفة إحنا في إيه وشايفة بيحصل إيه؟ مش هسيبك يا وعد، للأسف إنتِ بيتلعب بيكي، فلازم نلاعبهم بنفس لعبهم، أو على الأقل أكون معاكي، إحنا بدأناها سوا، وهننهيها سوا لو حتى فيها موتي.

نظرت وعد إلى خالد نظرة اطمئنان وشدت يدها على قبضة يده قائلة:

ـ ألف بعد الشر عنك، متقولش كده، بس أنا لازم أتحرك دلوقتي، وإنت مش هينفع تقوم وانت في الحالة دي، إنت نزفت دم كتير.

دفع خالد عنه الغطاء قائلاً:

ملكيش دعوة، أنا كويس، مش هينفع تروحي لوحدك.

دخلت عليهم الدكتورة سلمى قائلة:

ـ تروح فين يا عم؟ إنت نزفت كتير، مش هينفع تقوم من السرير.

ينظر خالد إلى وعد نظرة سؤال: هل تعلم شيئًا؟

فتجيب وعد برأسها بإشارة خفيفة بالنفي، وتقوم بتعريفهم على بعض قائلة:

ـ دي الدكتورة سلمى صاحبتي، وده خالد زميلي في الجريدة.

ـ ألف حمد لله على سلامتك يا أستاذ خالد، بجد مش هينفع تتحرك دلوقتي.

الله يسلمك يا دكتورة، بس ده مشوار مهم، مش هينفع يتأجل.

ترد وعد بقلق قائلة:

ـ والنبي يا خالد، متنشفش دماغك بقى.

يا ستي متقلقيش عليا، أنا تمام.

تخرج الدكتورة سلمى من حقيبتها شريط دواء قائلة:

ـ إذا كنت مصمم يبقى لازم تاخد ده معاك.

وإيه ده؟

ده فيتامين بس قوي شوية، ولازم تاكل أول ما تنزل، وده هيقويك ويسندك لغاية ما توصل مشوارك تقريبًا، وحاول متحركش دراعك، أو على الأقل متعملش بيه مجهود، يعني لا تشيل بيه حاجة أو تسند بيه، ولا تحركه كتير.

أوك، متقلقيش عليا، يلا يا وعد.

ترد وعد قائلة:

ـ وهتنزل بدمك ده كده؟

نظر خالد إلى ذراعه وملابسه، فوجد الدم يرسم عليهم لوحة طفل صغير يلعب بالألوان، فأعطته وعد كيسًا به ملابس قائلة:

ـ أنا اشتريتلك دول، يا رب يكونوا مظبوطين بقى.

بدل خالد ملابسه، ونزلا من شقة الدكتورة، وسألها خالد:

إنتِ راكنة العربية فين؟

- لأ، مفيش عربيات، أنا وديتها بعيد عشان ميوصلولناش، يمكن ده يعطلهم شوية.

نظر خالد إليها نظرة تقدير وإعجاب قائلاً:

لأ، ناصحة.

- إيه ده!!! إنت فاكر نفسك بس اللي بتعرف تتصرف، لا، ده إحنا جامدين برضو!

آه طبعًا، ده إحنا تلاميذك يا ريس.

يركبان سيارة أجرة "تاكسي"، ويهمس خالد لوعد:

محتاجين فلوس، الفلوس اللي معانا مش هتكفي، وأكيد مش هنعرف نروح البيت دلوقتي.

- خلاص، ممكن نروح لأي ماكينة ATM نسحب فلوس.

طلب خالد من السائق أن يوصلهما إلى أقرب ماكينة صرافة، ونزلوا من السيارة، وأثناء وقوفهما في الطابور وجدوا في هاتف الشخص أمامهم خبرًا بالحادثة، وذكر لمواصفاتهم، وأن المتهم قد أصيب في ذراعه الأيسر، وذكروا أن الهارب اسمه – خالد –.

تراجع الاثنان، وبدآ في الاستتار من الناس، وقال خالد:

هما لحقوا؟

- يا نهار أسود، طب إيه العمل؟

متقلقيش، هتصرف.

- طب تعالى نرجع لسلمى.

زمانها شافت الخبر، وهتفهم هي كمان، ومش هينفع نكون عندها.

ـ لا، متقلقش، دي صاحبتي، مهما كان عمرها ما هتبلغ عننا.

هتخاف، والخوف بيوقع.

ـ طب هنعمل إيه؟

تعالى معايا.

أخذها وذهب إلى مكان مستتر عن الناس، ثم أخرج هاتفه وقام بالاتصال على أحدهم قائلاً:

= عم أشرف، حبيبي، ربنا يخليك، إنت كمان شوفت؟ هحكيلك كل حاجة بس بعدين، المهم عايز منك خدمة، عايز أنزل القاهرة حالًا ضروري، تسلم يا غالي، هبعتلك اللوكيشن، سلامي للباشا، وقوله كده خلاص الجميل اترد، حبيبي يا صاحبي، تسلم، سلام يا نجم.

سألت وعد قائلة:

ـ مين ده؟ وجميل إيه؟

ده واحد صاحبي ثقة، أبوه حد كبير، رجل أعمال مهم في البلد، ليا عندهم جميل، أنقذت حياة أبوه مرة، ويتمنى يردلي الجميل، وأعتقد مفيش أحوج من الوقت اللي إحنا فيه ده.

ـ طب ده أمان؟

متقلقيش.

بعد فترة من الوقت، حوالي الساعة، جاءت سيارتان "جيب" لونهما أسود، ودراجتان ناريتان "رايس". نزل من إحدى السيارتين أشرف،

صديق خالد القديم الذي كان يأتي له بالمخدرات، ونزل الحرس الخاص به من كلتا السيارتين، فسلم عليهما وقال:

ـ متعرفش الباشا اتبسط قد إيه لما عرف إنه هيقدملك خدمة، مع إنه هو كمان عرف الموضوع، بس معندوش مانع إنه يساعدك أياً كان.

رد عليه خالد قائلاً:

تسلم، ربنا يخليك يا أشرف، ده كتير عليا والله.

ـ لا، كتير إيه؟ بس هي حياة الباشا تتقدر بتمن؟! إنت ليك كتير أوي يا خالد.

ربنا يديم المعروف، المهم أنا محتاج أنزل القاهرة حالًا.

أشار أشرف إلى أحد رجاله، فأحضر حقيبة من إحدى السيارتين وأعطاها لخالد قائلاً:

ـ هتلبسوا الهدوم دي، وهتركبوا الموتسكلات دي، وهتبقوا من الحرس بتاعي، وأنا هكون معاكم بنفسي.

بدل خالد ملابسه ووعد أيضًا، ثم ارتدوا خوذة غطت رأسيهما، فلم يظهر من وجهيهما شيء، ثم ركبا الدراجات النارية.

****

دخل حسن مسرعًا على الريس كارم في مكتبه، الذي يشبه مكتب الملوك أو عرش السلاطين، وكان يجلس أمامه جابر، فقال حسن:

ـ باشا، فيه أخبار وحشة.

قول يا وش الفقر.

ـ الشرطة كبست على الآنسة في العملية، وكان معاها الواد إياه، وضربوا عليهم نار، بس هما هربوا، لكن الحكومة أخدت منهم البضاعة.

وهما فين دلوقتي؟

ـ في الإسكندرية يا كبير، والحكومة بتدور عليهم.

أدار وجهه إلى جابر قائلاً:

كلملي الرجالة في الإسكندرية، لازم نوصلهم قبل الحكومة. يلا وأمّن الدنيا حوالين المخزن بزيادة.

ـ أوامرك يا كبير.

انصرف جابر وحسن لتنفيذ أوامر الريس كارم، وظل الريس كارم يفكر فيما يدور ويخطط كيف سيتعامل معه.

****

مر أشرف وحرسه بسلام إلى القاهرة، حيث أن أشرف هو ابن رجل الأعمال المشهور (سيد عبد الخالق)، فلم يشك فيه أحد على الأكمنة. وذهب بهم إلى فندق والده في إحدى الأماكن الراقية، ونزل أشرف من السيارة، ودلف إلى الفندق، ودخل حجرته في جناحه الخاص به ومعه الحرس، ومن بينهم وعد وخالد. فخلع خالد ووعد خوذتهما، وشكر خالد أشرف وأظهر له امتنانه لما قدمه له قائلاً:

كده أنا اللي مديون لكم يا أشرف.

ـ مديون إيه بس! قلت لك حياة الباشا متتقدرش بثمن، وأي حاجة تحتاجها في أي وقت متترددش.

تسلم يا غالي.

أعطى أشرف حقيبة لخالد، كانت موضوعة بالغرفة، قائلاً:

هتلبسوا اللبس ده عشان تبقوا من عمال الفندق، وهتخرجوا مع عربية الفندق، هتوصلكم لغاية ما أنتو عايزين، وبعدها هتلبسوا لبس هتلاقوه في العربية، تقدروا تتحركوا بيه.

مش عارف بجد أشكرك إزاي يا أشرف.

سلم كل منهما على الآخر، ثم قال أشرف:

. خد بالك من نفسك يا خالد، وأنا مش هتحرك من هنا غير لما أطمن عليكم.

سلم عليه وانصرف ومعه الحرس الخاص به.

خرج أشرف والحرس الخاص به، ثم التفتت وعد إلى خالد مطمئنة عليه بعدما رأته ممسكًا بذراعه المصاب، قائلة:

. إنت كويس؟

متقلقيش عليا، أنا تمام، بس من هزة الموتسيكل طول الطريق بس، المهم يلا، مفيش قدامنا وقت، لازم نتحرك حالًا.

بدل خالد ووعد ملابسهما مرة أخرى، وخرجا من الفندق، وركبا سيارة العمال متجهين إلى مقر الريس كارم في الهرم. وأثناء سيرهما في الطريق، أوقفهم ضابط على كمين وطلب بطاقاتهما الشخصية، فقلقت وعد كثيرًا.

****

علي بيه

وصل "علي بيه" إلى الإسكندرية خلف خالد، أملًا في أن يلحق به، ولكن دون جدوى. ووجد سيارته على الكورنيش، فقام بتفتيشها، ولكنه لم يجد فيها شيئًا يدل عليه أو يساعده في الوصول إليه، فأخذ يبحث في المحافظة، وشدد في الأكمنة، وزاد عدد الدوريات، دون توقع منه أنه قد تمكن من الخروج من البلدة. ولما يئس، لجأ إلى مراجعة كاميرات المراقبة الخاصة بالمحلات أو المؤسسات أو إشارات المرور على مداخل البلدة ومخارجها.

****

لم ينتبه الضابط لقلق وعد، بينما تمالك خالد نفسه. ولكن في هذه اللحظة حدث شيء غريب، قال أمين الشرطة المصاحب للضابط في الكمين إنه رأى شخصين ملثمين يفران هاربين من إحدى الشوارع الفرعية، فأسرع الضابط وأمين الشرطة والسيارات التي كانت بالكمين لملاحقة هذين الشخصين. فتحركت سيارة الفندق التي بها خالد حتى وصلت إلى الهرم، وعند أقرب مكان إلى مقر الريس كارم، نزلت وعد وخالد، واختبآ خلف السيارة لتبديل ملابسهما، وذهبا لمقابلة الريس كارم.

****

ورطة

وصل خالد ووعد إلى مقر الريس كارم، فما إن رآهما رجال الريس كارم من بعيد حتى حاصروهما لكي لا يتمكنا من الهرب مرة أخرى، ولكي يضمنوا عدم وقوعهم في أي مشكلة، وعلى رأسهم جابر، الذي أخذهما إلى الريس كارم. وما إن وصلوا إليه حتى دفعه جابر إلى الأمام، فأدار إليه خالد وجهه ونظر إليه بغضب شديد، ثم أدار وجهه إلى الريس كارم، ثم نظر كل من خالد ووعد إلى بعضهما، فقطع الريس كارم نظراتهم قائلاً:

شفتي بقى أنا ليه متمسك بيكِ!!! عاقلة وبتجيبي من الآخر، وبصراحة وفرتي عليكِ وعليا كتير.

ردت وعد بنظرات غضب وعدوانية وحرقة في القلب تكفي لتشعل غابات الأمازون وتحرقها عن بكرة أبيها. كانت تتمنى لو تمتلك الفرصة لتنتقم لنفسها ولخوفها، قائلة:

ـ أنا تحت أمرك، إيه المطلوب؟

لأ، المطلوب إنتي منفذتيهوش من الأول. أولًا البضاعة مجتش، ثانيًا قلت لك تروحي لوحدك وإنتي مسمعتيش الكلام وأخدتيه معاكي.

ـ إنت عارف إنه شريكي، ولولاه مكنتش عرفت أهرب.

ولولاه برضو مكانتش الشرطة هتعرف طريقك.

نظرت وعد إلى خالد نظرة استفهام، ثم أتبع الريس كارم قائلاً:

أيوه، إيه اللي يضمنك إن مش هو اللي مبلغ عن العملية، وخصوصًا إن العملية اتغيرت، وإنتي اتبلغتي بمعادها قبلها بساعتين.

فرد عليه خالد بعصبية قائلاً:

ـ وإيه اللي يضمن لنا إن مش إنت اللي مسلمها عشان تخلص مني أو مننا سوا، لأنك متأكد إني هكون معاها.

نظر إليه الريس كارم نظرة إقلال واستهزاء، وقام خمسة من رجاله، بما فيهم جابر، بإشهار سلاحهم وتصويبه نحو رأس خالد، فاضطربت وعد، وصمت خالد وهو ينظر حوله. فيقاطع الريس كارم تلك النظرات قائلاً:

أعتقد صعب خمس رصاصات يغلطوا وييجوا في دراعك التاني، ويمكن عشر رصاصات أو خمستاشر أو أكتر. معلش، أصل الشباب عندي غشيمة شوية، مابيصدقوا يدوسوا على الزناد.

ثم يوجه الريس كارم كلامه إلى رجاله قائلاً:

نزل يا ابني إنت وهو سلاحك، مش دلوقتي، لسه بعد السهرة إن شاء الله.

ردت وعد بنبرة رجاء قائلة:

ـ يا ريس، هو مالوش دعوة بحاجة، الحاجة ملزمة مني أنا، وأنا قدامك أهو، اتفضل احكم باللي إنت عايزه!!

أمال جايباه معاكِ ليه؟ ولي أمرك؟ ولا بيوصلك؟ ولا عشان يخوفني مثلًا!!!

هم خالد ليرد عليه، فرد الريس كارم بصوت عال وبغضب:

محدش يتكلم هنا إلا بإذني، أنا بس اللي أتكلم، وأنا اللي أقرر، وأنا اللي أقول مين اللي غلط ومين اللي يتعاقب، وإيه العقاب. إنتوا فاكرينها التكية بتاعة أهاليكم.

رفع خالد صوته عاليًا قائلاً:

ـ مش هسمح لك.....

ولكن قبل أن يكمل جملته، بادره جابر بضربة على رأسه بظهر السلاح، فُغمي عليه. ولما أفاق خالد، وجد نفسه مكبل الذراعين على كرسي، وبجواره وعد على نفس الهيئة، وأمامهما الريس كارم قد جلس على كرسي يشاهدهم وينتظر خالد حتى يفيق، بعد أن سكب عليه جابر وعاء به ماء.

فنظر إلى وعد، والدموع تترقرق في عينيها، وأنينها الذي تخفي خلفه الألم الذي بداخلها، فقاطعهم الريس كارم قائلاً:

ها، نبدأ بمين فيكم؟

أجابت وعد بتوسل قائلة:

ـ أرجوك اقتلني أنا، هو مالوش ذنب، أبوس رجلك متأذيهوش.

أجابها الريس كارم بكبرياء قائلاً:

فاكرة لما كنتي قاعدة نفس القعدة دي من حوالي ٦ شهور، مهانش عليا أقتلك، بس تعرفي؟ أنا دلوقتي مش قلقان عليكي. عارفة ليه؟ عشان هيكون معاكي ونيس.

رد عليه خالد بنبرة قلق على وعد، قائلاً:

ـ إنت متأكد إنها مخانتكش؟ لو عندك ذرة شك فيا، أنا قدامك أهو، اقتلني أنا.

ضحك بسخرية ثم أجابه قائلاً:

لا، حنين يا ض.

ثم تابع:

طب بص، إحنا هنلعب لعبة حلوة كنت بشوفها في التلفزيون وبتتعمل في الأفلام الأجنبي، وإحنا مش أقل منهم يعني.

كان وهو يتحدث، يقوم بتفريغ الرصاصات التي بخزنة سلاحه الدوار، ثم يضع في الخزنة طلقة واحدة، ثم يلفها بسرعة ويغلقها في سلاحه قائلاً:

زي ما إنت شايف، المسدس فيه طلقة واحدة هتروح لصاحب نصيبها، بس قولي بقه نبدأ بمين؟

وقبل أن يجيبه خالد، قال هو:

أقولك حاجة، ليدز فيرست، أنا هبدأ بيها هي، ويلا عالبركة.

صوب سلاحه نحو رأس وعد، فقال خالد مسرعًا:

ـ أنا الخاين اللي بتقول عليه، وأنا قدامك أهو، ابدأ بيا أنا.

فرد عليه باستهزاء قائلاً:

يا سلام على التضحية.

صوب سلاحه نحو رأس خالد، فبكت وعد بحرقة وقالت:

ـ أنا اللي مسمعتش كلامك، أرجوك سيبه هو، اقتلني أنا، أنا قدامك أهو.

فنظر إليها قائلاً:

أنا فعلًا مبحبش اللي يكسر كلامي، وإنتي عارفة أنا كنت بعزك قد إيه وبحبك عشان بتسمعي الكلام. لكن الظاهر إن الحب فعلًا لازمله تضحية، عشان كده أنا هضحي باللي بحبه.

فصوب السلاح نحو رأس وعد، وبدأ في الضغط على الزناد ببطء. وفي تلك اللحظة، قفز خالد بالكرسي الذي كان مكبلًا فيه ليتلقى الطلقة بدلًا من وعد، فيقعان على الأرض. وأطلق الريس كارم الطلقة، ولكن لم تخرج الرصاصة في هذه المرة، فلم يحن دورها بعد.

فقام رجال الريس كارم بعدلهم على الكراسي مرة أخرى، واقترب الريس كارم من خالد، وأمسك بشعر رأسه وشده إليه، قائلاً:

إيه يا واد الحنية والتضحية دي كلها؟

فرد عليه خالد قائلاً:

ـ بضاعتك عندي، أنا اللي ملزم أرجعها لك، وهنفذ كل اللي تؤمرني بيه، بس سيبها تعيش، وبعدها ممكن تقتلني برضو عادي.

نظر الريس كارم إلى جابر قائلاً:

ده الظاهر يا ض يا جابر زي ما بيقولوا فعلًا: الحب بيخلي الراجل ضعيف وعبيط.

ثم وجه حديثه إلى خالد قائلاً:

هتعرف ترجّع لي بضاعتي من الحكومة يا حبوب؟

ـ ليك بضاعتك أو تمنها.

وهتقدر على تمن بضاعتي؟

ـ اللي تؤمر بيه.

حيث كده بقه، يا بضاعتي يا إما تلات أضعاف تمنها تعويضًا ليها، عشان الإهانة اللي شافتها عند الحكومة.

ـ اللي تؤمر بيه، أنا تحت أمرك، بس سيبها.

ماشي، هنفذلك طلبك، عشان أنا راجل جدع، واسألها على جدعنتي، هي مجرباها. بس القطة هتفضل معايا هنا لغاية ما ترجّع لي بضاعتي.

نظر خالد إلى وعد نظرة فزع وخوف شديد، فقاطعه الريس كارم قائلاً:

أسبوع، لو البضاعة أو تمنها ما رجعش، ابقى خليها تعرفك إن مش صعب عليا أجيبك. بس للأسف هتيجي تقرا عليها الفاتحة، ومتقلقش، أنا جدع، هبقى أقرالك أنا الفاتحة أنا وجابر.

يدير وجهه لينصرف قائلاً:

وصلوه لبره، وودوها أوضة الضيوف.

فك الحرس قيودهما، ثم اقترب خالد من وعد ليحدثها، فشده أحد الحرس، فنهره خالد قائلاً:

ـ هكلمها، هقولها حاجة مش أكتر.

اقترب منها خالد قائلاً:

ـ أنا آسف مقدرتش أحميكي منهم، بس أوعدك مش هتأخر عليكي.

ردت وعد باكية قائلة:

متقلقش عليا، خد بالك إنت بس من نفسك، وأنا اللي آسفة، أنا اللي ورطتك معايا من البداية.

ـ مش وقته الكلام ده دلوقتي.

حاول تطمن على ماما والنبي وأخويا، وطمنهم عليا، ومتعرفهمش حاجة.

ـ حاضر، متقلقيش.

أخرجت وعد من جيبها "كارت شخصي" لأحدهم، قائلة:

بقولك إيه، خد الكارت ده.

ـ ده إيه ده؟

ده اللي كنت حكيت لك عليه قبل كده، إنه بيحاول يقرب مني، أكيد هيساعدك لما يعرف إنك تبعي.

ـ ماشي يا وعد، متقلقيش، هتصرف.

قام جابر بشد خالد بعيدًا، قائلاً:

يلا، ده مش كورنيش يا روح أمك.

نادت وعد باكية على خالد، قائلة:

متتأخرش عليا والنبي يا خالد، مش عايزة أموت هنا.

رد عليها خالد، وقلبه يحترق، والدموع تترقرغ في عينيه، قائلاً:

ـ مش هتأخر يا وعد، مش هتأخر، أوعدك مش هتأخر.

أخذ أحد الرجال وعد، ووضعها في غرفة منفردة، بينما جابر أخذ خالد ودفعه إلى الخارج. وجلس الريس كارم في مكتبه على كرسيه، وقال لأحد رجاله:

ميغيبش عن عينك أقل من لحظة، النفس اللي يتنفسه أكون عارف أخد فيه كام ذرة أكسجين، مفهوم؟

مفهوم يا ريس.

****

دخل جابر إلى الريس كارم في مكتبه بعدما أخرج خالد، فجلس أمامه قائلاً:

- يا ريس يبقى الواد في إيدنا ونسيبه؟

هتفضل كده غشيم لغاية إمتى؟ افهم يا ابني، هو لو تبع الشرطة، فهما كده مش هيغلبوا إنهم يجيبونا، لكن لغاية دلوقتي بيحافظوا عليه وعلى البت اللي جوه، فأنا دلوقتي مشيته واديته الأمان، لو تبعهم هيبان، بس إحنا معانا سلاح نساومهم بيه، وهي البت اللي جوه دي. إنما لو مش تبعهم برضو هيبان، والواد دماغه حلوة، يبقى ليه ما نستفيدش بيه؟ فهمت يا غشيم؟

- اللي تشوفه يا كبير، بس معلش يا ريس أنا مش مرتاح للواد ده.

كل حاجة هتظهر يا جابر، قوم بس انت تابع شغلك وخلي بالك منها، لتعمل في نفسها حاجة ولا تفكر تهرب.

- بالإذن يا ريس.

انصرف جابر وجلس الريس كارم يفكر في الأمر..

****

في الكباريه

خرج خالد من مقر الريس كارم بعدما ترك وعد عنده وذهب ليُداوي ذراعه بعدما نزف مرة أخرى بسبب ما حدث في مقر الريس كارم، ثم ذهب إلى الكباريه وبحث عن سيكا حتى وجده، وبعد أن سلم عليه قال:

أنا تمام، الحمد لله، أمال فين الآنسة؟

- سيب اللي في إيدك وتعالى دلوقتي معايا، عايزك.

ذهب به خالد إلى مكانه المفضل على النيل وأخذ يحكي له ما حدث، ثم بعدها قال سيكا:

طب وإيه العمل دلوقتي؟

- الأول بس عايز أعرف الحكومة عرفت مكان ووقت العملية منين؟

أنا عارف.

- عارف!!!!! عارف إزاي؟

إنت كنت متراقب.

- ومين اللي كان مراقبني؟

علي بيه الأسيوطي.

- أشمعنى؟

عشان الرجالة اللي إنت كنت متفق معاهم يأمنوك في العملية القديمة اتقبض عليهم، وهما اللي اعترفوا عليك، وعليك إنت بس، عشان ما كانوش يعرفوا الآنسة.

- وإنت عرفت الكلام ده كله منين؟

بص، الآنسة بتثق فيا جدًا، فحكيت لي كل حاجة، وأنا عرفت إن الرجالة اتقبض عليهم، وليا أمين شرطة حبيبي في القسم هو اللي عرفني إنهم اعترفوا عليك، وكانت الحكومة مجهزالك قوة محترمة عشان يقبضوا عليك في العملية القديمة، بس لما اتغير ميعاد العملية ما لحقوش يحركوا القوة ناحيتك، وده اللي ساعدكم في الهرب.

- آاااااه، ومين سي علي زفت ده كمان؟

ده ظابط لسه جاي هنا، بس خد بالك منه يا خالد، عشان بيقولوا إنه مش سهل.

- متقلقش عليا يا سيكا.

طب وناوي تعمل إيه؟

- مقداميش غير إني أثق فيك زي وعد، وهنخرجها من اللي هي فيه إن شاء الله.

أخرج خالد هاتفه من جيبه وقام بالاتصال على أحدهم قائلاً:

= معالي الباشا، عايز أشوفك حالًا، أوك خلاص نص ساعة وأكون عندك، سلام يا ريس.

أغلق خالد هاتفه قائلاً:

- روح إنت دلوقتي شوف شغلك، وعايزك تركز أوي، ولو فيه أي جديد كلمني على الرقم ده، بلاش تتصل على الرقم القديم عشان أكيد معاهم.

أخذ خالد هاتف سيكا وحفظ عليه رقمه وانصرفا..

****

الفندق

دخل خالد الفندق على هيئة سائح أجنبي ذا شعر أشقر ولحية كثيفة ونظارة شمسية تخفي ملامحه. دلف إلى غرفة صديقه أشرف، وما أن سلم عليه حتى خلع ما كان يتخفى فيه قائلاً:

ـ معلش اتأخرت عليك.

ولا يهمك، حمد الله ع السلامة يا بطل.

ـ الله يسلمك.

خير، حصل إيه تاني؟

ـ مصيبة.

مصيبة إيه؟

ـ أخدوا وعد مني، ولازم أرجع البضاعة خلال ٧ أيام، وإلا هيقتلوها ويقتلوني.

مين دول اللي أخدوها؟

ـ اللي مشغلينها.

طب وناوي على إيه؟ ولا أساعدك إزاي؟

ـ مقداميش حل غير إني أرجع لهم البضاعة، لأن الفلوس كتيرة جدًا مقدرش عليها.

طب وهترجعها إزاي، دي مع الشرطة؟

ـ ما هو ده اللي أنا عايزك عشانه.

إنت عارف إني مش هقصر معاك.

- متأكد، عشان كده جيت لك، بس مش عايز الباشا يعرف حاجة عن اللي هنعمله.

متقلقش، بس إيه المطلوب؟

صمت قليلًا ثم أخرج زفيرًا ممتلئًا بالهموم قائلاً:

- بصراحة مش عارف، بس أكيد فيه حل.

تحمس أشرف قائلاً:

طب أجيب رجالة ونهجم على القسم ونجيبه؟

- لأ يا عم، أنا مش عايز أزود أعدائي، أنا عايز أدخل آخده بالحنين.

طيب أمال بتفكر في إيه، حبايبنا كتير جوه على فكرة.

- خلي الحل ده يبقى الأخير.

وضع يده في جيبه وأخرج علبة سجائره، فوقعت منه ورقة، ولكنه لم ينتبه إليها، بينما أشرف انتبه لها قائلاً:

حوش اللي وقع منك.

- يا عم، هو ده وقته؟

إيه يا ابني شغل العيال ده، فيه ورق وقع منك فعلًا.

نظر إليه خالد فوجده الكارت الذي أعطته له وعد، فتذكر كلامها عنه حينما حكت له أنه رجل أعمال كبير، ولكنه يتاجر في المخدرات متخفيًا في الأعمال الوهمية التي فتح على اسمها شركاته، فلمعت في عينيه فكرة.

فأخرج هاتفه وأعد شيئًا في تطبيق الإعدادات الخاصة بالهاتف، ثم قام بالاتصال على أحدهم قائلاً:

= النسر الجارح يتحدث.

فرد عليه صوت في الهاتف قائلًا:

-- أأمر يا باشا.

= هاتلي آخر شحنة دخلتلك المخازن.

-- أوامرك يا باشا، المكان فين؟ والوقت؟

قالها عبد الرزاق بعدما نهض من على كرسي مكتبه في غرفته منفردًا، حتى رد عليه صوت أجش كثيرًا، واضح تمامًا أنه قد تغير عن طريق برنامج لتغيير الأصوات، قائلاً:

= بكرة بالليل الساعة ١٢ في الريشة الكبيرة في الجناح الشمال، وتجيلي بنفسك عشان عايزك في مهمة.

-- أوامرك يا باشا.

جلس عبد الرزاق، رجل في الأربعينيات من عمره، في مكتب مدير شركة هو مالكها، تعمل في تصدير واستيراد الأجهزة الكهربائية، محدثًا نفسه قائلاً:

ليه عايزني بنفسي؟ ومهمة إيه اللي عايزني فيها دي؟ ربنا يستر.

أغلق خالد هاتفه بابتسامة وهو يستند بظهره على الكرسي، قطع تلك الابتسامة أشرف قائلاً:

مش فاهم!!!

ـ دي هجمة مرتدة.

إزاي؟ ومين النسر الجارح ده بقى؟

ـ ده الكبير بتاع الليلة دي كلها.

وعرفت إزاي؟

ـ هي حكت لي يوم العملية قبل ما ييجي لها الميعاد، الواد جابر، اللي هو الدراع اليمين بتاع الريس كارم، كان عايز يقرب منها، فبيقعد يحكي لها أسرار وحاجات عشان يكسب معزتها ويوريها إنه شبح وكده.

وهو جابر ده إيه اللي عرفه؟

ـ يا عم، بقولك الدراع اليمين، هو الوحيد اللي يعرف كل حاجة وكل كبيرة وصغيرة عن الشغلانة، وبيقعد يحكي لها، وكان عايز يقرب منها.

ومين اللي إنت كلمته ده؟

ـ ده رجل أعمال بس شغال معاهم، اسمه الحقيقي عبد الرزاق، والحكومة بتدور عليه بقالها فترة، كده هيمسكوه متلبس.

طب إزاي بيدوروا عليه، وهو موجود قدامهم وعادي أهو؟

ـ مغير اسمه، ومش عارفين يمسكوا عليه حاجة.

طب وإنت عرفت كل ده منين؟

ـ يا عم، إنت ناسي إني ليا طار عندهم، وبنخور وراهم من بدري ومش ساكت، ده فيه بلاوي كتيرة متلتلة.

نظر إليه أشرف بابتسامة قائلاً:

مش سهل إنت برضو يا خالد، ده أنا ابتديت أخاف منك.

- أقوى سلاح في الدنيا يا أشرف هو سلاح الانتقام، مفيش أي قوة تقدر تقف قدامه، بس أهم حاجة إنك توظف السلاح ده صح.

طب وإنت ليه هتسلم عبد الرزاق ده؟

- هدية، هدية لعلي بيه تعويضًا عن البضاعة اللي هاخدها منه.

إزاي؟..

****

حيرة وحب

دخل جابر على وعد في الغرفة التي قد حُبست فيها، فوجدها تجلس في وضع القرفصاء حزينة، فقدم إليها طعامًا كان في يده ووضعه أمامها قائلاً:

_ بقالك يومين وما أكلتيش حاجة.

لم ترد عليه وعد، ثم تابع كلامه:

_ تفتكري سي خالد بتاعك ده هيعرف يرجع البضاعة؟ ولا تفتكري هيرجع لك أصلًا، ولا هيسيبك ويخلع؟

نظرت إليه وعد نظرة لا مبالاة لكلامه، ثم أدارت وجهها في الاتجاه الآخر، فتابع كلامه:

_ عموما أنا موجود، لو عوزتي حاجة قولي لي، وياريت تاكلي عشان ما تتعبيش.

ترك جابر الطعام أمامها تنظر إليه وغادر، فبدأت تأكل من الطعام بخوف واستحياء.

****

في قسم الشرطة

دخل الضابط إيهاب مساعد علي بيه، شاب في مقتبل عمره ممتلئ حماسًا وحيوية، يريد أن يحمي البلد ويقدم إليها الغالي والنفيس، دخل مسرعًا إلى علي بيه في مكتبه قائلًا:

علي بيه فيه أخبار مهمة.

- فيه إيه؟

عبد الرزاق هيسلم شحنة سلاح كبيرة النهارده.

- إمتى وفين؟ ومنين الأخبار دي؟

كمان ساعتين على طريق الإسماعيلية، مخبرين تبعنا جابوا لنا الإخبارية دي.

قام علي بيه مسرعًا من على مكتبه قائلًا:

- إنت متأكد من الأخبار دي يا إيهاب؟

على مسؤوليتي يا فندم، حضرتك عارف شغلي.

- طب روح جهز القوات لما أخلص التصريح وأبلغ بالدعم، لازم نتحرك حالًا.

تمام يا فندم.

خرج إيهاب لتجهيز القوات وذهب علي بيه لينهي التصريح، ثم عاد بصحبة إيهاب للتأكيد على القوة وبداية التحرك.

في هذه اللحظة دخل أحد الجنود من القوة التي ستتحرك إلى داخل القسم ملثمًا، فرآه أحد أمناء الشرطة فسأله قائلًا:

إنت رايح فين يا عسكري؟

ـ هجيب حاجة لعلي بيه من مكتبه.

طيب.

فدخل ذلك العسكري إلى داخل مكتب علي بيه ونظر إلى الباب وابتسم ابتسامة خبث، فإذا به خالد قد تسلل إلى داخل القوات واستطاع أن يدخل مكتب علي بيه، فذهب وظل يفتش في أدراج مكتبه.

****

جهز عبد الرزاق البضاعة وبدأ في التحرك حسب المكان والميعاد المتفق عليه، ومعه رجاله مسلحين تسليحًا قويًا.

****

فتش خالد مكتب علي بيه حتى أخرج ختمًا، وقام بوضعه على ورقة كانت معه، ثم ذهب بها إلى غرفة حفظ الأحراز، فأعطى الأمين المسؤول عن الغرفة التصريح فوجده مختومًا بختم النسر وليس به أي شبهة، ففتح له الباب ودخل خالد وأخبره أن معه أوامر بإحضار حرز معين، فبحث خالد عن الحرز وأتى به، وعند مغادرته لاحظ أمين الشرطة عليه التوتر والتسرع فشك فيه وقال له:

بقولك إيه يا دفعة.

ـ نعمين.

فين الكارنيه بتاعك؟

ارتبك خالد وهو يبحث عنه في جيوبه ولم يجده قائلًا:

ـ أأ آاااه، الظاهر نسيته وأنا متسربع لإننا طالعين مأمورية حالًا.

طب اقلع القناع، عايز أشوف وشك.

ـ يا عم مش فاضي، بقولك طالعين مأمورية.

أشهر الأمين سلاحه وبدأ في تهديد خالد، ولكن قام خالد بالتعامل معه وضربه وفر هاربًا، ولم يلحق به الأمين ولكنه قام مسرعًا للحاق بعلي بيه قبل أن يتحرك، ووجده قد ركب سيارته وبدأ في التحرك، فنادى عليه قائلًا:

علي بيه، علي بيه.

ـ فيه إيه يا عم سمير؟

فيه حد إداني تصريح دخول عندي سليم ومختوم، ودخل أخد آخر حرز بتاع الهيروين، ولما شكيت فيه خبطني وجرى، وملحقتوش.

غضب علي بيه كثيرًا ووجد أمينًا آخر، فقال له:

وأنا كمان يا علي بيه، لقيته داخل مكتب حضرتك، ولما سألته قال لي إن حضرتك اللي باعته يجيب لك حاجات من مكتب سعادتك.

استشاط علي بيه غضبًا أكثر ودخل مسرعًا إلى مكتبه، فوجد ورقة على مكتبه مكتوب فيها:

(معلش كنت محتاجها ضروري، بس سيبت لك هدية مكانها. عبد الرزاق!!! الداخلية بتدور عليه بقالها ٤ سنين، هتبقى خبطة حلوة ليك لو لحقته. ياريت مترفضش الهدية دي، أحسن بعد كده أزعل).

خرج علي بيه مسرعًا وأمر الضابط إيهاب بالتحرك بالقوات للقبض على عبد الرزاق، وركب هو سيارة أخرى وخرج بنفسه بحثًا عن خالد، بالاتفاق مع جهاز المرور، وأخذ يجول في البلدة للحاق بخالد.

****

دخل الريس كارم ومعه جابر، حمل جابر كرسي للريس كارم، وما أن جلس أمام وعد وهي تجلس في الأرض على نفس هيأتها وقد شحب وجهها من الحبس وقلة الطعام والنوم، نظر لها الريس كارم قائلًا:

عدى ٣ أيام وحبيب القلب لا حس ولا خبر، هو إنتي دايمًا كده اختياراتك زي الزفت.

مال جابر إلى الريس كارم قائلًا:

ـ يا ريس الواد ده مش مضمون، إديني سعادتك ساعتين زمن وأنا أخلصك منه وأجيب لك البضاعة لغاية تحت رجليك.

اهدى يا جابر، متستعجلش على رزقك، لما نشوف الحبوب هيعمل إيه.

ثم وجه حديثه إلى وعد قائلًا:

إنتِ ليكي عندي أسبوع، عدى منه ٣ أيام، بعد كده عداني العيب، وإنتي عارفة كان المفروض أخلص عليكي من إمتى، بس هعمل إيه بقى لقلبي الطيب.

دون أي رد من وعد على كليهما، قام الريس كارم وأخذ جابر وغادرا، وما أن وصل جابر إلى باب الغرفة خلف الريس كارم حتى نظر خلفه إلى وعد نظرة شفقة، ثم أمر بغلق الباب وانصرف...

****

ذهب علي بيه ليتجول في شوارع القاهرة للحاق بخالد، ووقف في أحد الأكمنة وقام بتفتيش السيارات بنفسه حتى أوقف إحدى الميكروباصات، وفتح باب الميكروباص فوجد سيدة منتقبة، فشك فيها وسألها قائلًا:

إنتِ رايحة فين يا مدام؟

فتلجلجت السيدة في الرد، وردت بصوت خفي قائلة:

ـ الهرم يا بيه.

طب اتفضلي انزلي.

نزلت السيدة من السيارة، وأمرها أن ترفع نقابها فرفضت قائلة:

ـ مش هينفع يا بيه، أمال أنا لابساه ليه؟

فرد علي بيه بعصبية قائلًا:

أنا مش باخد رأيك، هتقلعي ولا أجرك من شعر أمك.

رفعت المرأة نقابها على استحياء، ووجدها سيدة حقًا، فأمرها بالانصراف، وأغلق باب الميكروباص بعصبية وأمر السائق بالانصراف.

كان السائق شاحب الوجه ذا حاجبين كثيفين، وعلى وجهه علامات جروح، ثم نظر السائق في مرآة السيارة وابتسم ابتسامة غرور وغمز بعينه، فإذا به خالد مرة أخرى، وقد هرب من أمام علي بيه دون أن يراه، وظل علي بيه يبحث في الشوارع والأكمنة أملًا في أن يجد خالد.

بينما قام الضابط إيهاب بالقبض على عبد الرزاق ورجاله، وحرزوا ما معهم من شحنة السلاح ليتم التحقيق معه، دون أن يفضح عبد الرزاق أحدًا أو يخبرهم عن باقي أفراد العصابة، أملًا في أن يقوم أحد منهم بإنقاذه

أو تخليصه مما هو فيه، ولكن دون جدوى، ففي النهاية لقي مصيره المحتوم والمعروف عن هذه المهنة وهذه الظروف، فقد أرسلوا إليه من يقتله في السجن دون علم أحد، وكأنه انتحار كالعادة.

****

دخل جابر إلى الريس كارم وهو يتناول وجبة الغداء على طاولته الخاصة، وبيده جريدة ووضعها أمامه، فإذا به يرى خبرًا في صفحة الحوادث:

(تمكن المجرم الهارب المدعو خالد من سرقة الحرز الذي تم تحريزه أثناء مطاردة الشرطة له بقيادة الضابط علي الأسيوطي، وقد قام بسرقته في ظروف غامضة، وجارٍ التحقيق في كيفية السرقة وكيف تمكن من فعلها، وجارٍ البحث عنه).

تبسم الريس كارم وهو ينظر إلى جابر قائلًا:

إيه ده!!! عملها؟

رد جابر بوجه غاضب قائلًا:

ـ يا ريس أنا مش مرتاح للواد ده.

بالعكس، ده هو ده مكسبنا من الليلة دي.

ترك الريس كارم طعامه وذهب إلى وعد، فلما دخل عليها وجدها قد شحب وجهها أكثر وضعفت أكثر وعلى هيئتها، فقال لها مبتسمًا:

باين عليكي المرة دي اخترتي صح، حبيب القلب عملها، بس يا ترى هييجي بقى ينقذك ولا هيحاول يهرب بالبضاعة؟ إنتي عارفة طبعًا تمنها كام؟ لما نشوف بقى، إنتي أغلى ولا الفلوس.

ثم أدار وجهه للحارس قائلًا له:

هات لها غدوة معتبرة يا ابني، عزومة مني ليها عشان تعرف بس إني راجل جدع.

ثم أخذ جابر وانصرف وأعطى له تعليمات قائلًا:

زود الرجالة حوالين المكان، وخليهم يفتحوا عينيهم كويس، ليكون ناوي يغدر بينا، ولما ييجي يتفتش كويس قبل ما يدخل، واتأكد إن الشنطة سليمة، يلا.

****

نهاية وبداية

وقف الحراس يترقبون وصول خالد متخفّين حتى لا يتمكن من رؤيتهم، وليطمئنوا أنه جاء بمفرده، فانتشروا على بعد حوالي خمسة كيلومترات من مقر رئيسهم، حتى وصل وتأكدوا أنه قد جاء بمفرده وليس معه أحد ولا وجود لأي نية للغدر. عندها التف حوله الحرس، ومن أمامه جابر وقف في وجهه، فقال له بغضب وتحدٍ كما لو كان يمتلك الفرصة لقتله والانتقام منه: لماذا أنت؟ لماذا تقبلتك أنت وأحبتك أنت دونًا عني؟ ما الذي فعلته لها؟ فأنا أفشيت لها كل الأسرار التي أعرفها عن مهنتي حتى أتقرب منها، أنا أستطيع حمايتها أكثر منك، وأنا اليد اليمنى لسيدي وسيدها، وأنت مجرد شخص تافه مشكوك في أمره، لا نعلم صدق نيتك ولا أصلك ولا من أنت، كيف وثقت بك هكذا بهذه السرعة؟ ما الذي بك زائد عني لتحبك؟ نعمل في نفس المجال، بل أنا أعلى منك مكانة وقدرًا، عندك عضلات، وأنا أيضًا عندي عضلات وأكثر منك، عندك عقل، فعقلي أوصلني إلى أن أكون الرجل الأول لسيدها، ما الذي بك ليس بي أحبّتك لأجله؟

كل هذا دار في عقل جابر خلال لحظات قبل أن يوجه له الحديث قائلًا: حمد الله على السلامة.

رد عليه خالد، وعلت وجهه نظرة تحدٍ ساخرة، قائلًا:

ـ الله يسلمك.

هات الشنطة وتعالَ.

ـ دي مش ليك يا بابا، أخاف عليك تتعور.

فأشار جابر لأحد الحرس الذي بجوار خالد، فقام بضربه بشومة خلف ركبته، مما أثنى ركبته وجثا عليها، فقال له جابر ساخرًا:

خاف على نفسك إنت لتتعور.

نظر إليه خالد نظرة غضب شديدة قائلًا:

ـ اللي ليك إنك تشوف البضاعة وتدخلني لكبيرك.

فتح خالد الحقيبة حتى يرى جابر ما بها، فسحبه جابر بقوة ودفعه إلى الداخل، حتى وصل به إلى الريس كارم، فوجده يجلس على طاولة ومعه فتاتان تدلكانه، فأمرهم الريس كارم بالانصراف، ثم أدار وجهه إليهم قائلًا:

ده الظاهر كده إن كلام الجرايد المرة دي صح.

رد خالد بنظرة غضب ممزوجة بخيبة أمل وألم لما أصاب وعد بسبب ما حدث، قائلًا:

ـ حاجتك أهي، سلمني وعد.

هات الشنطة وتعالَ.

ـ مش هتاخد حاجة غير أما تسلمني وعد.

قهقه الريس كارم قائلًا:

إنت واعي للي إنت بتقوله يا ابني؟ إنت مش متخيل إني ممكن أدفنك مكانك هنا جنبها تُونسها؟

اضطرب خالد وقلق بشدة، وقال بعصبية وصوت عالٍ وألم شديد ممزوج بخوف شديد على حبيبته، قائلًا:

ـ عملت فيها إييه!

أشار الريس كارم إلى جابر، فشد جابر الحقيبة من يد خالد بالقوة وفتحها أمام الريس كارم، بينما تابع خالد قائلًا:

ـ أقسم بالله لو عملت فيها حاجة لهقتلك.

نظر إليه الريس كارم نظرة استحقار، ثم أشار بيديه إلى أحد الحرس الموجودين، ففتح ستارة كانت موجودة في المكان، فظهرت من خلفها وعد، فأسرع إليها خالد وأمسك يدها بلهفة وعيناه رغرغتا بالدموع، بينما وعد انفجرت بالبكاء، فقاطعها خالد قائلًا:

ـ إنتِ كويسة؟

ردت وعد بلهفة أيضًا قائلة:

ـ أنا كويسة، متقلقش عليا.

ـ أنا آسف إني اتأخرت عليكي.

متتأسفش، أهم حاجة إنك كويس وجيت بالسلامة، مشيني من هنا والنبي.

أخذها خالد وأراد أن يغادر، قائلًا للريس كارم:

ـ حاجتك رجعتلك، أظن كده من حقي أمشي أنا وهي.

وأنا إيه يضمن لي إنك مش مبلغ عني؟

أثار غضب خالد، قائلًا:

- إنت عايز مني إيه؟ أنا لو بلغت عنك كان زمانهم طربقوا المكان ده فوق دماغنا، مش هيبقوا عليا ولا عليك ولا عليها، مش هيبقوا على شوية مجرمين بيتاجروا في المخدرات، ومكنش زماني جبت لك بضاعتك مظبوطة، مش كل الناس خاينة زي ما إنت فاكر.

هدي نفسك يا كوتش، صوتك لو علا تاني هخليه يوحشك، وبعدين روح على صوتك واتشطر على اللي قتلوا أبوك وأمك ورفضوا يعترفوا ورموهم زي الكلاب.

انتبه خالد لكلام الريس كارم، مستغربًا من أين عرف تلك المعلومات!

ابتسم الريس كارم قائلًا:

إنت فاكرني عبيط ولا إيه يا ض؟ أنا عارف عنك كل حاجة من يوم ما اتولدت، فاهدى كده عشان محدش هيساعدك تجيب حقك غيري.

صمت خالد ولم يستطع الرد، ثم أتبع الريس كارم قائلًا:

وعلشان البضاعة رجعت لي سليمة وبطريقة شيك كمان، لا وعجبتني الطريقة، حبيت أكافئك وأساعدك.

رد عليه خالد كالمجبور أو قليل الحيلة، قائلًا:

- والمقابل؟

تبقى من رجالي وتحت أمري.

نظر خالد إلى وعد نظرة اطمئنان، ثم قال للريس كارم:

- موافق، بس سيبها تمشي.

فأجاب الريس كارم بشدة، قائلًا:

إنت متخلف يا ابني؟ تمشي تروح فين؟ لا إنت ولا هي ينفع تتحركوا من هنا، مصر كلها بتدور عليكم، ده أأمن مكان ليكم في الوقت الحالي، خد السنيورة أكلها عشان ما أكلتش لقمة من ساعة ما سيبتها، وريحوا الليلة دي ومع الفجر هتتحرك.

ـ على فين؟

عاملكم رحلة كده، جدعنة مني، تغيروا فيها جو شوية والدنيا تهدى كده، وبعدين نبدأ الشغل.

نظر خالد إلى وعد وأحكم قبضة يده على يدها، قائلًا:

ـ متخافيش، أنا معاكي.

أشار الريس كارم إلى الحرس، فأخذوهم إلى غرفة واسعة بها سريران وطعام، بينما نظر جابر إلى الريس كارم وقال:

ـ إنت هتشغله معانا يا ريس كمان؟ الواد ده مش مضمون.

نظر إليه الريس كارم قائلًا:

يا غشيم افهم، اللي يدخل القسم ويجيب الحرز ده كله من غير ما يتمسك يبقى شبح، وإحنا شغلانتنا دي محتاجة الأشباح، مش الترابيس اللي زيك، ثم قولي بزمتك إنت تعرف تعمل نص اللي عمله ده؟

أدار جابر وجهه إلى الاتجاه الآخر بغضب، قائلًا:

ـ اللي تشوفه يا ريس.

طيب، يلا روح تمّم على العربية اللي هتسافر الفجر، ولو لقيت ربع غلطة هصلحها برقبتك.

نظر جابر إلى الريس كارم نظرة استغراب، قائلًا:

ـ تحت أمرك يا ريس.

****

دخل خالد ووعد الغرفة، وظل خالد يطمئن عليها ويعتذر على تأخيره عنها، بينما بكت حين رأته في حالة قلق وخوف عليها، ثم تمالكت نفسها وابتسمت قائلة:

أهم حاجة إنك رجعت بالسلامة.

ـ الله يسلمك.

طب قولي، إنت ليه رجعت مع إنهم كان ممكن يقتلوك وعرضت نفسك للخطر مع الحكومة، وأنا السبب في اللي إنت فيه أصلًا؟

نظر إليها وحدق في عينيها كثيرًا، قائلًا بتلعثم:

ـ عشان بحبك يا وعد.

ابتسمت وعد وكأنها تفاجأت، ثم قالت:

بتقول إيه؟

ـ عشان بحبك.

قامت وعد بمعانقة خالد عناقًا شديدًا، قائلة:

وأنا كمان بحبك أوي.

أخذا يتعانقان بشدة، ثم نظر خالد في عين وعد وقال:

ـ من هنا ورايح، مش عايزك تقلقي ولا تخافي، طول ما أنا حي وعلى وش الدنيا، محدش هيقدر يمس منك شعرة.

نظر خالد إلى الطعام، فقال لها:

ـ إنتِ فعلًا ما أكلتيش حاجة من ساعة ما سيبتك؟

مالت وعد برأسها على صدر خالد، قائلة:

وهيجي لي نفس إزاي آكل وأنا قلقانة عليك ومش عارفة عنك حاجة؟

ـ طب ممكن تاكلي بقه، أنا جيت يا ستي، واتطمنتي عليا، وأنا زي القرد أهو.

جلسا على طاولة الطعام وأكلا حتى شبعا، ثم خلدت وعد للنوم، بينما جلس خالد يفكر.

****

رحلة جديدة

دخل الريس كارم إلى الغرفة التي بها خالد ووعد في تمام الساعة الثالثة فجرًا، فوجد وعد نائمة على سرير بينما كان خالد جالسًا على كرسي وقد غفى في النوم، فاستيقظ خالد فور دخول الريس كارم إلى الغرفة، بينما وعد لم تشعر بشيء بسبب الأيام التي ظلت ساهرة فيها.

قال الريس كارم لخالد:

يلا صحيها واجهزوا عشان هاتتحركوا دلوقتي.

انصرف الريس كارم، بينما وقف خالد طويلًا ينظر إلى وعد وهي نائمة، كانت تشبه الملاك في نومها، ملامح بريئة، ووجه ملائكي، ورقة لم يكن يحق لها أبدًا ما هي فيه، ولولا أنه قدر الله، لقال إن ما يحدث لها هو ظلم، ولكن قدر الله وما شاء فعل: "وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم".

ثم جلس بجوارها وأيقظها بهدوء، فقامت مضطربة، فاحتضنها خالد قائلًا:

متخافيش يا حبيبتي، ده أنا، يلا عشان هنتحرك دلوقتي.

قامت وعد من سريرها ولم تعرف إلى أين سيتحركون وكيف؟ غسلت وجهها، ثم خرجا للريس كارم، فوجداه يقف بجوار سيارة نقل محملة بأثاث منزل، ثم أعطى الريس كارم سلاحًا لخالد، قائلًا:

ده عشان تحمي نفسك وتحميها بيه، متفكرش تستخدمه في غير كده عشان هيعورك، العربية دي هتوصلكم ع النيل، هتركبوا مركب من هناك

هتوصلكم للبحر المتوسط، ومن هناك هتركبوا سفينة كبيرة هتوصلكم لبنان، هيستناكم أبو سليم، ده حبيبي، هيعمل معاكم الواجب وزيادة، عايزك تشرفني وترفع راسي هناك، عما الأمور تهدى هنا هجيبك ونشوف اللي ورانا.

ثم قال لوعد وهو يعطيها جوالًا:

التليفون ده عشان تطمني على الحاجة والدتك، تكلميها مرة واحدة بس بعد ما تركبوا السفينة الكبيرة بساعة بالضبط، ومايتفتحش إلا ساعة المكالمة، وتخلصي وتقفليه وترميه في البحر، وما تطوليش في المكالمة عشان محدش يعرف يتتبعه ويعرف إنتِ رايحة فين، ولا حتى الحاجة تعرف إنتِ فين وليه، ولما توصلي هناك أبو سليم هيبقى يخليكي تكلميها بمعرفته.

وجه حديثه لخالد مرة أخرى، قائلًا:

وأظن إنت مش محتاج تكلم حد ولا تطمن على حد، وأنا هكلمك بمعرفتي، وما تعملش أي حاجة ولا تتحرك خطوة من غير إذن أبو سليم، يلا مع السلامة.

ركب خالد ووعد السيارة وسط الأثاث، وتحركوا حسب الخطة الموضوعة من الريس كارم، حتى ركبوا السفينة الكبيرة. وبعد التحرك بساعة، قامت وعد بالاتصال بأمها وطمأنتها عليها، وأرادت الأم أن تعرف أين هي مختفية كل تلك الفترة، فلم تعرف الأم أن البنت التي يتم البحث عنها هي ابنتها، ولكن قلب الأم كان يشعر بشيء، ورفضت وعد الكلام، وقالت لأمها إنه يجب عليها أن تغلق حالًا، فأغلقت الهاتف معها.

وأرادت أن تغلق الهاتف وترميه كما أمرها الريس كارم، فانتظر خالد حتى تغلق الهاتف، ثم قال لها:

ـ هي الساعة كام دلوقتي؟

مش عارفة.

ـ طب هاتي التليفون، هفتحه أشوف الساعة كام وأرميه.

بلاش تفتحه، مش الريس قالك مكالمة واحدة ويترمي؟

ـ ده هي دقيقة، هشوف الساعة بس.

ماشي، براحتك.

فتح الهاتف، ثم كتب رسالة نصية وأرسلها إلى أحدهم دون أن تلاحظ وعد، وكان نص الرسالة: "أنا رايح لبنان"، ثم أخرج الشريحة من الهاتف وقذفه في البحر.

ثم جلسا يتحدثان...

****

متاهة

ذهب علي بيه إلى مديرية أمن الأسكندرية يتحرى ويتابع آخر الأخبار في الكشف حول عملية هروب خالد من الأسكندرية، فلما تابع حركات السيارة المذكورة بأنهم كانوا بها على الكورنيش، بدأوا في متابعتها من أين أتت؟ فنظروا في المكان عكس اتجاه مقدمة السيارة وبدأ مراجعة الكاميرات... وجدوها خرجت من منطقة شاليهات على الساحل ولكنهم لم يستطيعوا تحديد الشاليه الذي كانت عندهم، وعندما بدأ في مراقبة الكاميرات الموجودة على إشارات المرور والمحلات التي على الطرق العمومية لاحظ علي بيه شيئًا غير معتاد، وهو تحرك ابن رجل الأعمال المشهور "سيد بيه" ومعه سيارة حراسة واثنان من الموتوسيكلات النارية ماركات الريس، وهذا غير معتاد أن يكون ضمن حراسة رجال مدنيين، لو كان في موكب وزيرٍ أو رئيسٍ لكان شيئًا عاديًا أو منطقيًا، أما بالنسبة لحراسة ابن رجل أعمال فهذا غير منطقي. وعندما تابع سيرهم وجدهم قد تحركوا إلى القاهرة، فعاد إلى القاهرة وبدأ يراقب كاميرات الطرق العمومية لمداخل القاهرة، وعندما وجدوهم قد تحركوا إلى فندق مملوك لرجل الأعمال والد هذا الشاب، وقد دخل الشخصان اللذان يرتديان لباس الدراجة النارية إلى الفندق، وعند خروجهما وجد اختلافًا ملحوظًا على أجسامهما مما يوحي أنهما ليسا من دخلا فقد تبدل الرجلان، وعندما تابع كاميرات المراقبة الخاصة بالفندق وجدهما قد خرجا من الفندق في زي عمال الفندق واستقلا سيارة الفندق، ولكن لم يتمكن من متابعة السيارة لشدة الزحام بالقاهرة، وقد أقرت التحريات التي أقيمت حول رجل الأعمال هذا وثبت أن له ولدًا حقًا ولكنه يعمل

بالخارج منذ خمس سنوات، وهذا الشخص الذي كان يتحرك ومعه الحرس الخاص أي الشاب الذي ساعد خالد ووعد بالهروب من الأسكندرية إلى القاهرة ليس ابن رجل الأعمال هذا، وظل يبحث عنه فلم يجده، وذهب ليستجوب رجل الأعمال ولكنه أنكر معرفته بأي شخص يذكره له، وأنه ليس لديه أي أبناء في مصر وهو يتابع كل أعماله ومسئولياته منفردًا، فأمر بالبحث عن هذا الشاب الذي ادّعى أنه ابن رجل الأعمال، وأكمل بحثه عن خالد.

****

الحكاية

أخذت وعد حقها المشروع في الدردشة والضحك والمرح مع حبيبها في تلك الرحلة الطويلة التي لا تعلم كم ستستمر، حتى أخذها الفضول لتعرف حقيقة ذلك الشخص الذي أسر قلبها وقام بحمايتها أكثر من مرة، واقتحم أسوار قلبها وجلس وتربع على عرشه، قائلة:

ـ هو أنا ممكن أسأل سؤال؟

ـ أكيد اتفضلي.

ـ إيه موضوع باباك ومامتك اللي كان بيتكلم عنه امبارح، انت ما جيبتليش أي سيرة عن الموضوع ده قبل كده.

أخرج خالد زفيرًا ممتلئًا بالهموم والألم، وكأنما غُرس في الجرح القديم خنجرًا ملتهبًا، قائلا:

ـ يااااااه، تعرفي إني عمري ما حكيت لحد قبل كده، بس هحكيلك، من سنتين كان فيه تشكيل عصابي بيتاجر في الحلاوة الطحينية زي اللي بنشتغل فيها، وفي يوم اتبلغ عنهم وهجمت عليهم الشرطة، كانوا في فيلا مهجورة في أطراف المنطقة بتاعتنا، وقدروا يهربوا من الشرطة وقعدوا يطاردوهم في الشوارع، ساعتها كان أبويا وأمي في مشوار بالعربية، وهما راجعين كان ساعة المطاردة، الدنيا اتلخبطت معاه، كان راجل كبير في السن، راح واقف بالعربية في نص الشارع ومعرفش يتصرف من التوتر، وعشان حظه المنيل لما وقف، وقف قدام عربية من بتوع الشرطة اللي كانت بتجري ورا عربية من بتوع العصابة، الباشا اللي في العربية فكره تبع العصابة وبيقطع عليه الطريق، فنزل وضرب عليه نار بشكل فظيع لغاية

ما العربية ولعت وانفجرت، وملحقش أبويا ولا أمي إنهم يهربوا منها أو يقولوا إنهم مش تبع حد، بعد لما الموضوع خلص قدمنا بلاغ وعملنا محاضر عشان أجيب حقهم، رفضوا حتى يعترفوا إنهم اللي قتلوهم ولو بالغلط، وقالوا إنهم ماتوا في حادثة عادية، ومكنش قدامي غير إني أوافق على كلامهم عشان أقدر أستلم بقايا جثثهم أدفنها، وإلا هيعتبروهم إرهابيين ويحاكموني أنا كمان، ومن يومها وأنا بحاول أوصل للظابط اللي عمل كده، بس كان لازم يبقى معايا فلوس كتير عشان أعرف أتحرك، ومعارف عشان يسندوني، لإن إنتي عارفة الدنيا مبتتمشيش غير بالوسايط والمعارف، وبصراحة كارم ده لو صدق فعلا وهيساعدني يبقى هيوفر عليا كتير جدًا.

وإنت فاكر بقى إنه هيساعدك كده ببلاش؟

- مضطر أعمله أي حاجة هو عايزها عشان أوصل لحقّي.

مش عارفة أقولك إيه، ومش هينفع أقولك تسيب حقك.

- حتى لو قولتي، مش هسيبه لآخر يوم في عمري، حتى لو فيها موتي.

بعد الشر عنك، ما تقولش كده بقه، خد بالك من نفسك والنبي، عشانى أنا حتى.

- متقلقيش عليا، بس قوليلي إنتي بقى، إنتي إيه اللي شغلك معاهم؟

أنا!!! أخذت نفسًا عميقًا وأخرجته زفيرًا ممتلئًا بالهموم، ثم مالت برأسها على كتفه، وكأنها كانت تلقي بهمومها عليه ليحمل عنها، قائلة:

دي قصة طويلة.

- طب ما تحكي، ولا عندك اجتماع كمان ربع ساعة.

قهقهت وعد، ليس من كلام خالد، ولكن هي ضحكة مهموم، فحينها المهموم يضحك على أتفه الأشياء، وحتى لو لم يكن فيها حس الفكاهة، ثم اتبعت قائلة:

أنا بحكم إني صحفية كان مطلوب مني إني أعمل بحث عن الشباب المدمن اللي بتضيع فلوسها وعمرها على المخدرات والشرب والسهرات والملاهي الليلية وكده، وإيه اللي دفعهم، وبيجيبوا فلوس منين وخلافه، وكنت شغالة تمام أوي، والدنيا زي الفل، لغاية ما قابلته.

. هو مين؟

سامح... كان شاب لطيف جدًا ووسيم وجدع، حسيته غيرهم، كان دايمًا قاعد لوحده ومكنش بيشرب، وعشان أعمل بحثي معاه اتصاحبت عليه وأخدت منه أي كلام، وأخدت رقمه زي أي حد قبله، وكنت بخلص مصلحتي معاهم وأمسحه وأغير رقمي أنا، عشان ميكلمنيش تاني، بس معرفش ليه ده مامسحتش رقمه، وفضلنا نتكلم شوية واتصاحبنا أكتر، وارتحنا لبعض أكتر، وحبينا بعض، كنت عايشة معاه ساعتها أجمل أيام عمري، كنت فاكراه هيعوضني عن كل الدنيا وعن أي حاجة وحشة، لكن مكنتش أعرف المستخبي!!!

وعدني وعود كتير إنه هيحافظ عليا، وإنه هيعوضني عن كل حاجة، ومش هيخليني أندم أبدًا إني حبيته، وأنا بصراحة صدقته، وكنت متطمنة أوي وأنا معاه، لكن كان فيه شوية حاجات غريبة كده مكانتش مفهومة، كان كتير بيكون غامض وبيعمل حاجات مش فاهمها، يعني ساعات مكالمات مش مفهومة كلها ألغاز، بيبقى معاه فلوس كتير أحيانًا معرفش مصدرها منين، ومكنش بيجيب سيرة الجواز خالص، حتى لما كنت بلمح

للموضوع، كنت بحسه بيتهرب ويغير الموضوع، مكنتش بشغل بالي، كنت بقول إني أوفر وكده.

لغاية مرة لقيت معاه تذكرة هيروين، في الأول كنت فاكراه بيتعاطاها، بدأت أتغير معاه غصب عني، وكل لما أحاول أفاتحه في الموضوع، معرفش إيه اللي كان بيوقفني، بدأت أتابعه وأراقبه، وحسيت إنه أخد باله إني شاكه في حاجة، ومره مسكت فونه، لقيته باعت رسالة لحد بيقوله إنه اتكشف، وكان الرد عليه: خد بالك، التمن هيبقى حياتك وحياتها. خوفت جدًا بصراحة، وفي مره كنت قاعدة معاه في كافيه، ومرة واحدة لقيت الكافيه فضي، والناس كلها مشيت، ودخل علينا الريس كارم، والبيبان اتقفلت.

دخل وكان معاه حوالي خمسة من رجاله بما فيهم جابر، سحبوله كرسي، وقعد قدامنا، وهو اتنفض وقام وقف، وأنا مش فاهمة أي حاجة، ولقيته بيقوله: هيا دي بقه اللي كشفتك؟

ماردش عليه، وبصلي بصة حسيته بيقوللي فيها: أنا آسف، بس مكنتش فاهمة بيتأسف على إيه، راح الريس كارم قايلي: "وإنتي بقه عارفة حبيب القلب شغال إيه؟ ولا مفهمك إنه مدرس دين؟ هههههههههههه".

معرفتش أرد الصراحة، بصيت لسامح بس وسكت، لقيته بيقوللي: أنا هقولك، حبيبك ديلر، بيوزع مخدرات، تعرفي كده بقه ولا قايلك حاجة تانية؟ بصراحة اتصدمت أوي، وبصيت لسامح وقولتله: إيه اللي بيقوله ده؟ انت فعلًا شغال كده؟ ماردش عليا. صرخت فيه وقولتله: ساكت لييييه؟ قوله إن إنت مش بتشتغل في القرف ده.

اتحمقت أوي ودافعت عنه، ونسيت أصلًا أنا متعرفة عليه فين وعرفته إزاي!!!!! كنت فاكرة نفسي بقه هعرف أزعل وأتقمص، وآخد بعضي وأمشي، لكن للأسف طلع مش من حقي حتى أزعل وأتقمص.

جيت أمشي، لقيت كارم بيضحك وبيقولي: رايحه فين يا عسل، هو دخول الحمام زي خروجه ولا إيه؟ وراح شاور للرجالة بتاعته، مسكني جابر وكتفني بإيده، حاولت أصرخ، راح جابر حط إيده على بقى، وكارم طلع سلاحه وحطه قدام وشي، وقالي: صرخة كمان، وهنقرا عليكي الفاتحة كلنا هنا.

وقرب وشه مني، وقالي: بصراحة أنا كنت ناوي أقتلك، بس الوش القمر ده خسارة في الموت، شوفتي أنا قلبي أبيض إزاي؟ بس هاخدك معايا، يمكن أحتاجك.

قعدت أصرخ وأقوله: والله ما هقول حاجة ولا هفتح بقى بكلمة، ولا كأني شوفت حاجة. وأبص لسامح وأقوله: انت مش هتعمل حاجة عشاني؟ انت هتسيبهم ياخدوني؟ مكنش قادر يرفع عينه في وشي حتى.

حاولت أصرخ، لكن حطوا لزق على بقى، وركبوني عربية، وغموا عيني، وربطوا إيدي ورا ضهري، وحطوني في حتة زي مخزن، وفضلت فيه لمدة ٣ أيام من غير أكل ولا شرب، إلا أن جابر كان بيجيلي بالليل تاني يوم وتالت يوم، يجيبلي أكل، وكان واضح إنه من وراهم، عشان كان بيبقى مخبيه من الحرس اللي واقف ع الباب، وشوية مياه.

وفي اليوم الرابع جالي الريس كارم، لقيته داخل عليا، وقالي: تصدقي نسيتك؟ أنا آسف، بس إزاي ممكن حد ينسى القمر ده؟ قولتله: أبوس رجلك، ارحمني، أقسم بالله أنا ما شوفتكم أصلًا، ولا حتى أعرف سامح،

ولا هنطق بربع كلمة، ومستعدة أعمل أي حاجة تؤمرني بيها تثبتلك كده.

قاللي: تصدقي والله انتي بنت حلال، وفرتي عليا كلام كتير وتعب كتير. خلاص أنا عندي ليكي حاجة، لو عملتيها هسيبك تمشي. قولتله: موافقة.

قاللي: مش تعرفي الأول إيه الحاجة دي؟

قولتله: موافقة على أي حاجة، بس والنبي سيبني أمشي.

قاللي: تمام، شنطة صغيرة هتوصليها لناس حبايبنا، وبعد كده تروحي ع البيت على طول، لا تكلمي حد ولا تشوفي حد.

طبعًا مكانش عندي أي شك إيه اللي جوه الشنطة، لأني كنت متأكدة إنه زفت من اللي بيتاجروا فيه، بس كنت فاكرها مرة وخلاص، قولت اشتري نفسي، وأكيد ربنا هيسامحني لأنه غصب عني.

وافقت وأخدت الشنطة، وبرضو خرجوني في عربية، متغمي عيني، ونزلوني في مكان ضلمة.

فرحت أوي لما لقيت نفسي في الشارع. ركبت تاكسي، ورحت المكان اللي قالولي عليه، وكان الكباريه اللي اتقابلنا فيه.

ثم تابعت قائلة:

على فكرة الكباريه ده بتاعي.

ـ بتاعك؟ بتاعك إزاي؟

كان بتاع واحد تبعهم، وقرروا يطلعوه معاش، وكتبوه باسمي عشان أدير التجارة من خلاله، وبقيت أنا المسؤولة عنه، ومحدش يعرف على فكرة الموضوع ده غير سيكا.

ـ واشمعنى سيكا؟

علشان كان الراجل بتاعي، فكنت بثق فيه جدًا، وجدع جدًا على فكرة، زي ما إنت شوفت يوم الكمين.

ـ آه.

المهم، لما وصلت الكباريه، اتصل بيا واحد، وقاللي: ادخلي الحمام رقم ٦، وهتلاقي فيه شباك كبير شوية، اخرجي منه. لقيت نفسي بره الكباريه في ضهره، والدنيا ضلمة، لقيت عربية نورت نورها، كان شديد شوية، ولقيت واحد، أعتقد إنه هو اللي كان بيكلمني في الفون، اديته الشنطة، فتحها وضحك، وقالي: "برافو عليكي، يلا بقى ارجعي زي ما جيتي، واجري يلا ع البيت زي ما الريس قالك".

فعلا خرجت وروحت جري ع البيت، مكنتش شايفة قدامي، بالعافية أخدت دوش سريع، ونمت من كتر التعب، حتى ملحقتش أكمل لبس هدومي.

صحيت تاني يوم على العصر، مكنتش مصدقة نفسي، كنت حاسة إني كنت في كابوس. بصراحة مكنتش متأكدة إن اللي حصل ده حقيقي ولا أنا فعلًا كنت بحلم، فضلت حابسة نفسي في البيت يومين، لا أكل ولا شرب، وبحاول أستوعب وأكذب نفسي، وأقول إنه كان حلم.

لغاية ما لقيت رسالة جاية لي على الواتس من رقم غريب، وكانت الرسالة عبارة عن صورة.

كنت خايفة أوي أفتح الرسالة، لأنه ماكنش عندي شك إنها حاجة هتصدميني، تمالكت نفسي وفتحت الصورة، لقيت صوري وأنا بسلم شنطة الهيروين اللي قالولي عليها، وكان وشي باين أوي وواضح، وأنا الوحيدة اللي كنت باينه، لأني أنا اللي كنت في وش العربية اللي كانت منورة، وكلهم ضهرهم ليها.

وأول ما فتحت الصورة، لقيت رسالة جاية لي بعدها بتقول:

"الصحفية الشابة وعد عبد الرحمن، التي تحارب الفساد وتتحدث عن الأخلاق والفضيلة، تقوم بتجارة المخدرات التي تدمر شباب الوطن، فلا رفق بها ولا رحمة لأمثالها، والإعدام هو الحل الوحيد لتطهير البلد من أمثال أولئك المنافقين الذين يسعون في الأرض فسادًا وتخريبًا".

ولقيت اللي باعت الصور بيقوللي: إيه رأيك لو الخبر ده نزل بكره في الجريدة بتاعتك وفي الصفحة الأولى كمان؟

وكانت صدمة تانية ليا، وأنا أصلًا لسه مفوقتش من الأولى، لقيت نفسي مرمية على الأرض، ومنهارة من العياط.

لقيت الباب بيخبط، وبردو ماكنش عندي شك إنه هو، أو على الأقل حد تبعه. فتحت، لقيته هو فعلًا، قاللي:

"كل ده عما تفتحي الباب؟ أنا كان ممكن أطربقه على دماغك على فكرة، بس أنا جدع".

وأنا كنت منهارة من العياط، صرخت فيه، وقولتله:

"انت عايز مني إيه؟"

قالي:

"يا سلام، أحلى ما فيكي إنك عاقلة، وبتجيبي من الآخر، وبتوفري عليا كلام كتير، وعلى نفسك وجع القلب، شنطة... شنطة صغيرة زي اللي فاتت".

قولتله: انت مش وعدتني إني هوصل اللي فاتت وتسيبني.

قالي: مهو أنا سيبتك يا بنتي، هو أنا كذبت عليكي؟ أنا قد كلامي يا أستاذة، بس بصراحة متفائل بيكي، وعايزك معايا، بس المرة دي مش ببلاش، هتاخدي مبلغ محترم.

قولتله: مش عايزة حاجة.

قاللي: لأ، أنا راجل حقاني، حقك لازم تاخديه.

قولتله: مش عايزة حاجة ومش هوصل حاجة.

فبص للي حواليه باستغراب، وقالهم: يا شباب مين عامل الدوشة دي؟ هي قالت موافقة صح!!!

ماشي يا عسل، يلا. وراح سايبلي شنطة، بس كانت أكبر من اللي فاتت، وقال لي:

(المكان والوقت هيوصلولك في رسالة على الواتس، ونصيحة متقفليش التليفون).

وأخد الرجالة اللي كانوا معاه ومشي.

فضلت أعيط زي ما أنا، لغاية ما أغمى عليا، ومحسيتش بنفسي غير تاني يوم، صحيت لوحدي وأنا مرمية على الأرض.

مكنتش عارفة أعمل إيه، وفضلت طول اليوم مش قادرة أتحرك من مكاني، وعلى بالليل جت لي رسالة بالمكان والوقت.

قررت إني أنفضلهم، واللي يحصل يحصل، وجهزت شنطتي وقلت هروح عند ماما وأبقى أبلغ البوليس.

ولسه مخلصتش تجهيز شنطتي، حصلت حاجة عمري ما كنت أتوقعها ولا حتى جت على بالي.

لقيته باعت لي صورة ماما وأخويا الصغير، وهو قاعد معاهم وقدامهم شوية هدايا، وبيقولي:

"طيبة أوي الحاجة، وعليها كوباية شاي، استغفر الله العظيم متتشربش."

ساعتها الدم نشف في عروقي، وحسيت قلبي هيقف.

اتصلت على ماما أطمن عليها، بس كنت خايفة ليكون حصلت حاجة مقدرش أستحملها.

تمالكت نفسي، واتصلت بيها، لقيتها مبسوطة وبتقول لي:

"مبروك يا حبيبتي الترقية الجديدة، عشان كده يا حبيبتي بقالك فترة مش بتكلميني ولا بتيجي.

كنت زعلانة منك، بس فرحتي بيكي خلتني أسامحك، والنبي المدير بتاعك ده حتة سكرة."

قفلت معاها بعد ما قعدت تدعيله وتدعِي لي.

مكنش قدامي غير إني أنفذ كلامه عشان خوفت عليهم.

ولما رجعت، لقيت شنطة فلوس في الشقة عندي، مع إن لا الباب مكسور ولا فيه آثار لفتح الباب، ولا فيه حتى شبابيك مفتوحة.

معرفش دخلوا إزاي!

ومن يومها وأنا بقيت واحدة منهم، ودايماً بيهددني بأهلي، ويبعت لي صور ليهم، بيعرفني يعني إنه متابعهم، وإنه يقدر يوصلهم في أي وقت.

ـ طب وليه مبلغتيش عنهم بعدها؟ وكنتي عرفتي الشرطة ظروفك ودنيتك، أكيد كان فيه حد هيصدقك، وتتشال من عليكي العقوبة، أو على الأقل تتخفف كتير؟

ضحكت وعد ضحكة حسرة وقلة حيلة، قائلة:

أبلغ عن مين؟! دول مراقبيني خطوة بخطوة، وراصدين كل تحركاتي، ودايماً بيبعتوا لي صور ليا، بيعرفوني إنه عارف عني كل حاجة، وخصوصاً لو روحت مكان جديد أو صاحبت حد جديد، زيك كده.

كان كل شوية يبعت لي صور ليا وأنا قاعدة معاك، آل يعني واخد باله أنا بكلم مين، وعمل عنك تحرياته، وجاب سيرة حياتك كلها من أولها لغاية ما انت واقف معايا دلوقتي.

ـ لا، شقي أوي الريس كارم ده بصراحة.

انت بتتريق!!! بكرة تشتغل معاه وتعرفه.

ـ وانتي بقى ليه حبيتيني مع إنك قابلتيني في نفس المكان اللي قابلتي سامح فيه، وأنا شغال نفس شغلانته؟

لأ طبعاً، الموضوع يختلف.

ـ يختلف في إيه بقى؟

أولاً أنا لما عرفته كنت بره اللعبة، إنما هو كان جواها ومكنتش أعرف.

إنما دلوقتي أنا وإنت جوا وعارفين.

ثانياً هو ما قدمش أي حاجة تثبت لي حبه غير كلام، إنما إنت ضحيت بحياتك وبعمرك كذا مرة عشان خاطري.

وبعدين أنا بحبك وخلاص، متقرفنيش بقى.

ضحك ضحكة خفيفة وضم كفيها إلى كفيه وقبلهما، قائلاً:

ـ وأنا بموت فيكي.

ظلا يتحدثان ويتسامران طوال الطريق، إلى أن وصلا إلى لبنان، وأنزلوهما من السفينة.

استقبلهما ثلاثة رجال ومعهم سيارتين فخمتين من ذوات الدفع الرباعي، وانطلقا بهما إلى قصر أبو سليم.

****

في قسم الشرطة

بعد ما أمر علي بيه بالتحري على ابن رجل الأعمال، دخل عليه الضابط إيهاب قائلاً:

علي بيه، فيه أخبار جديدة ومهمة.

- خير، بخصوص إيه؟!

بخصوص رجل الأعمال سيد وابنه!!

- إيه الجديد؟ قول!

مالوش عيال في مصر، ابنه أسامة شغال في إنجلترا بقاله خمس سنين.

- يعني إيه؟!

يعني يا فندم، اللي ساعد خالد مش ابن رجل الأعمال، ده عيل منتحل شخصية ابنه.

إنما ابن رجل الأعمال الحقيقي بقاله خمس سنين بره مصر.

- معنى كده إن الولد ده مش لوحده.

لا يا فندم، أكيد وراه حد كبير هو اللي بيحركه وبيساعده، وأكيد ليه مصلحة كبيرة في اللي بيعمله خالد.

- الموضوع شكله كبير وهيطول، ده حتى لما عبد الرزاق وقع في إيدينا اتخلصوا منه، وكان هو اللي وقعه في إيدينا، وده معناه حاجة من اتنين:

إما خالد أهم من عبد الرزاق فضحوا بيه عشان خالد،

أو خالد شغال مع حد تاني ليه مصلحة في موت عبد الرزاق.

طب إيه العمل دلوقت يا فندم؟

. أكيد رجل الأعمال اللي اسمه سيد ده يعرف حاجة، لازم نستجوبه أو نعرف منه حاجة على الأقل.

عندما ذهبوا إلى رجل الأعمال، أنكر معرفته عن أي شيء يخص هذا الموضوع، وأثبت أنه في هذا الوقت كان خارج مصر في رحلة علاج بفرنسا.

وعند عودته من هناك، قام برفد الموظفين الذين تعامل معهم هذا الشاب الذي كان ينتحل شخصية ولده، ولكنه لم يقم بالإبلاغ، لعدم جلب الشوشرة والشبهات حوله.

واستمر علي بيه في البحث.

****

الوصول

ما أن وصلا إلى لبنان حتى استقبلهما أبو سليم بنفسه في قصره، ورحب بهما وهنأهما على سلامتهما، وأدخلهما إلى القصر.

فوجدا ابن أبو سليم وبنته، فسلما عليهما.

وأمر ابنته أن تأخذ وعد لتساعدها في تبديل ملابسها وأخذ راحة خفيفة من عناء السفر.

بينما ذهب هو وابنه بصحبة خالد، وأدخلاه إلى غرفة كبيرة، وأخبره أنه سيقيم فيها وبها بعض الملابس، وقال له:

يلا، خد شاور وغير هدومك وتعالى عشان تتغدوا، السفرة جاهزة.

نورت قصر أبو سليم يا خالد، اعتبر نفسك في بيتك، أو على الأقل في بيت الريس كارم.

إحنا إخوات، وإن شاء الله راح تتبسط معانا.

.أكيد هنتبسط يا أبو سليم، كفاية الاستقبال الجميل والواجب الكبير ده كله.

ولا واجب ولا حاجة يا خالد، إحنا أهل. يلا، راح أسيبك تغير تيابك وتاخد شاور.

انصرف أبو سليم وولده، بينما جلس خالد في الغرفة، واختار بعض الملابس ليرتديها، وأخذ حماماً، ثم نزل ليجد وعد ترتدي ثوباً لبنانياً جميلاً، وفي انتظاره على سفرة الغداء.

أصبح خالد وأبو سليم وابنه أصدقاء حميمين.

كان سليم الابن في الخامسة عشر من عمره، وقد أحب خالد كثيراً من معاملته الحسنة ومواقفه النبيلة.

فكثيراً ما كانوا يمرحون ويخرجون للتنزه سوياً، وقام خالد بتعليمه بعض أساليب الدفاع عن النفس وبعض الألعاب الرياضية.

بينما كان دائماً مرافقاً لأبو سليم في عمله الذي كان يعمل به، سواء كان في تجارة المخدرات والأسلحة، أو تجارته الوهمية التي كانوا يخفون خلفها حقيقة عملهم.

وكثيراً ما أعجب أبو سليم بذكاء خالد وفطنته، وقوته ونشاطه، وحسن تصرفه الدائم وأمانته، والتي أكسبت أبو سليم ثقة كبيرة في خالد، مما جعله ينقل هذه الثقة للريس كارم في مصر.

وعلى الجانب الآخر، قد أقيمت صداقة قوية أيضاً بين وعد وابنة أبو سليم وزوجته، حيث إن أبو سليم لم يكن لديه إلا ولدًا وبنتًا.

وقد أحبت هذه الفتاة وعد كثيرًا، ودائماً ما كانوا متلازمين في خروجهما وتنزهاتهما ورحلاتهما.

وحكت وعد لصديقتها عن قصة الحب التي بينها وبين خالد، وساعدتها ابنة أبو سليم كثيراً في تدبير مقابلات ورحلات لها مع حبيبها، حيث إن والدها كان يمنعهما من الخروج بمفردهما حتى لا يصابا بأي مكروه، أو لكي لا تحدث لهما أي مشكلة، لأنهما غريبان عن البلدة.

فكانت ابنة أبو سليم تخرج مع صديقتها وعد، وتتحجج بأنهن سيتأخرن في الخارج، فيرسل معهن خالد لحمايتهن، لما رأى منه قوة وأمانة يؤتمن عليها، ويستطيع أن يترك ابنته معهما.

فكان بمثابة الحارس الشخصي لهن الذي لا يفارقهن، وكان بمثابة الابن الأكبر لأبو سليم الذي يحمل معه كل أعباء عمله.

وكثيراً ما تعرضت وعد وابنة أبو سليم لمضايقات من بعض الشباب، ولكن خالد كان يتعامل مع هذه المواقف.

فكان في بعض المواقف يتعامل بالقوة وضرب الشباب،

وبعض المواقف الأخرى كان يتعامل بالحكمة وتهدئة الأمور،

وفي الأحيان الأخرى كان يتعامل بالحنكة، حيث يهدئ الأمور إلى أن يؤمن حبيبته وصديقتها ويعود بهما إلى المنزل، ثم يعود ومعه بعض الرجال من رجال أبو سليم ويعيد حقه، ويفعلوا ما بدا لهم.

لم تطل فترة الإقامة كثيراً لدى أبو سليم، ولكن كثرت المواقف التي جعلت العلاقة بينهما قوية للغاية، كما لو كانوا عشرة عمر.

فالأصدقاء الحقيقيون لا يقاسون بمدة الصداقة كم بقيت؟

بل تقاس صداقتهم بحجم وقدر المواقف التي تعرضوا لها،

فكانت تلك المواقف خير شاهد على ثقة أبو سليم والريس كارم في خالد ووعد.

****

دخل خالد على أبو سليم وهو يجلس فى حديقته فوجده شارد الذهن، فوجه إليه حديثًا ولكن لم ينتبه إليه أبو سليم، فوضع يده على كتفه قائلاً:

ـ سرحان في إيه يا ريس، اللي واخد عقلك؟

فنظر إليه أبو سليم في ذهول قائلاً:

كابوس، كابوس يا خالد.

ـ كابوس إيه؟ خير اللهم اجعله خير!!

كابوس دايمًا ملازمني، بحلم بيه وأنا نايم وأنا صاحي.

جلس أمامه خالد قائلاً:

ـ فيه إيه بس يا ريس، قلقتني؟!

دايمًا بشوفني قاعد في الصالون بتاعي، وفي إيدي سلاح، وواقف قدامي ظابط مقنَّع ورافع عليا سلاحه، بس في الحلم أنا عارفه، لكن في الحقيقة مش عارف مين هو، وعيالي واقفين من بعيد يبصوا عليا.

ـ يا ريس بلاش تشاؤم، صلِّ على النبي، ده عقلك الباطن، وبعدين أنا جنبك يا ريس، إنت زي أبويا اللي اتحرمت منه.

أوصيك يا خالد على عيالي، لو جرالي حاجة تاخد بالك منهم.

ـ بعد الشر عنك يا كبير، إنت هتدفنا كلنا.

أخذ خالد يطمئنه ويداعبه حتى نسي، وسارا يمرحان سويًا.

****

غموض

بدا هناك شيء غامض جدًا لم تفهمه وعد، ولم حتى تحاول فهمه، فهي لاحظته ولكنها ما أحبت أن تكون فضولية، أو أن تتدخل فيما لا يعنيها، فهي من رحلتها الطويلة هذه التي لم تنتهِ إلى الآن، ولم تدرِ ولا تعلم متى وكيف تنتهي، قد تعلمت شيئًا مهمًا جدًا، وهو أن ليس كل حقيقة نعلمها تريحنا، فهناك حقائق كثيرة حينما نعلمها أو نسعى في معرفتها ومعرفة السر خلفها تكون سبب نكبة ومصائب لنا.

نعم، إن الله لا يأتي لنا إلّا بالخير، ولكن هناك متاعب في الحياة نريد أن نتلاشاها، ولا يجب أن نلقي بأنفسنا إلى التهلكة.

وقد رأت بعينها حينما أخذها الفضول في البحث عن الأشياء الغامضة التي كانت مع حبيبها السابق، أين ساقها ذلك الفضول!

مع كل هذه السعادة التي في رحلتها المتعبة والشاقة في آنٍ واحد، متعبة لما رأته فيها من متاعب وآلام بمفردها، ولم تأتِ السعادة إلّا بقدوم حبيب القلب خالد، ولكنها إلى الآن تتمنى أن لو كان كل ما يحدث حولها هو مجرد حلم طويل، أو حتى غيبوبة دخلت فيها وتريد أن تستيقظ منها.

لا تريد تلك الحياة أبدًا، ولا تريد تلك السعادة الممزوجة بالخوف والقلق الدائم والخيانة والدماء، وأذى الناس ومرضهم وضررهم بتلك السموم التي كانوا يتاجرون فيها.

كانت دائمًا تلاحظ خالد بين فترة وفترة، وخصوصًا بعد كل عملية يذهب إليها مع أبو سليم، كان يجلس بمفرده بعيدًا وكأنه يتعمد ألا يراه أحد، وكان وكأنه يراسل أحدًا على الهاتف، أو يدون شيئًا.

وبالفعل لم يكن يراه أحد إلا هي، لأن من يسكن في القلب لا يغيب أبدًا عن الأعين حتى لو أن بينهما بلاد وبلاد، فكيف بمن يسكن معك في نفس المنزل وتحت نفس السقف، كيف له أن يغيب عن عينك لحظة؟!

لاحظته كثيرًا ولكنها لم تأبه لذلك، إلى أن سألته مرة عن سر ذلك، فأجابها وفي حديثه ثقة، وفي نبرته قوة الواثق من نفسه، مما جعلها تصدقه ولا تشك فيه قائلاً:

- بصراحة أنا متفق مع أبو سليم على عمولة لكل عملية، وكل مرة بسجل العملية بتفاصيلها عشان أبقى فاكر كويس حقّي، واللي لينا عنده قد إيه لحسن ينصب علينا.

لينا إزاي؟

- لينا أنا وانتي، انتي ناسية إننا شركا ولا إيه؟

ابتسمت وعد وسرت كثيرًا مما سمعته، فهو دائمًا يفكر فيها ويضعها ضمن أولوياته، ثم اتبعت حديثها قائلة:

يا عم حرام عليك، ده الراجل محترم والله وبيحبك كتير، هينصب عليك إزاي؟

- يا بنتي هو إحنا بنبيع مصاحف؟! إحنا تجار مخدرات يا ماما، يعني وارد جدًا في لحظة يغدر بينا.

إنتي ناسية إحنا وصلناله هنا عن طريق مين؟ واللي وصلناله عن طريقه ده ناسية كان هيعمل فينا إيه؟

بلاش طيبة قلبك الزيادة دي يا وعد، دي اللي ضيعتك على فكرة، وبعدين يا ستي حرص ولا تخون.

صمتت وعد صمتًا حزينًا وكأنه قد وضع يده على جرحها، فاحتضن يدها بيديه وقبلها قائلاً:

ـ أنا آسف، حقك عليا، مش قصدي أجرحك والله، بس لازم تبقي أقوى من كده.

فمسحت بيدها الأخرى ظهر يده قائلة:

ولا يهمك يا حبيبي، ما حصلش حاجة، وبعدين كفاية إنك جنبي، إنت بتحميني وتطمني.

أخذا يتسامران ويتحدثان حتى تذكرا والدتها التي كانا يحدثانها من وقت لآخر، وأقنعاها إنهم في رحلة عمل ربما تطول قليلاً، فقاموا بالاتصال عليها والاطمئنان على حالها.

****

عودة من جديد

بينما خالد يقوم بتدريب سليم الابن "الكونغ فو"، دخل عليهم أبو سليم وكان يقف ليشاهدهم من بعيد، فتوقف خالد عن التدريب وذهب إلى أبو سليم وسلم عليه قائلاً:

- وشك بيقول إن في أخبار حلوة.

زهقت مننا يا خالد وعايز تمشي.

- مش كده والله، بالعكس أنا مبسوط جدًا، بس عندي حاجات لازم أنزل عشانها.

ربنا يوفقك يا ابني، المهم عايزك تجهز عشان هتنزل بكره إن شاء الله مع الغروب.

- تمام يا ريس، وأنا بجد مش عارف أشكرك إزاي، قضيت هنا أيام جميلة لا يمكن أنساها أبدًا.

هتوحشني يا خالد.

- وإنت والله يا أبو سليم هتوحشني جدًا.

تسلم يا خالد، عموما إنت هتتحرك لوحدك، لكن وعد هتفضل هنا.

- ليه؟ مش هتنزل معايا؟ مش هينفع تقعد هنا.

إيه يعني، خايف عليها معانا ولا إيه؟

- لا طبعًا، خالص يا أبو سليم، ليه بتقول كده بس؟ بس هي عاملة حسابها إننا هنرجع سوا، وعايزة تشوف أهلها يعني.

عموما دي أوامر الريس كارم، بكره إن شاء الله هترجع في سفينة زي ما كنت جاي، بس المرة دي هترجع في حاوية محملة خشب، وهتنزل في ميناء مصرية، وهتتنقل لمخزن تبع الريس كارم، وهو هيكون مستنيك هناك.

. تمام يا كبير، بعد إذنك بقى عشان أجهز نفسي وأعرّف وعد إنها مش هتيجي معايا عشان هي عاملة حسابي إننا هننزل سوا.

تمام، اتفضل يا خالد.

ذهب خالد إلى وعد بينما ذهب أبو سليم إلى ابنه وأخذ يخفف عنه حزنه على مغادرة خالد، فقال الابن:

. هو خلاص يا بابا، خالد هيمشي؟

معلش يا ولدي، هي الدنيا كده، لُقى وفراق، وأكيد هو هيجي يزورنا كتير، أنا اتفقت معاه على كده.

. أنا حبيته قوي يا بابا.

وأنا كمان يا ابني والله حبيته، هو ولد محترم وجدع.

دخل خالد إلى وعد وهي تجلس مع رفيدة ابنة أبو سليم، فصاح إليها في حياء وهو يرجع إلى الخلف احترامًا لحرمة المنزل وتقاليد أهل القصر، فأتت إليه وعد فأخبرها قائلاً:

. هتحرك بكره يا حبيبتي إن شاء الله.

على فين؟

. على مصر إن شاء الله.

امتى وازاي؟

. بكره مع الغروب بإذن الله، ما تقلقيش، كل حاجة مترتبة، بس...؟؟؟؟؟؟؟؟؟

بس إيه؟

. فيه حاجة كده عايز أقولك عليها.

خير يا حبيبي، فيه إيه؟

. ماتقلقيش، خير إن شاء الله.

طب قول، قلقتني.

. إنتي مش هتيجي معايا.

إيه اللي إنت بتقوله ده؟ أنا مش هينفع أسيبك لوحدك، ثم إنت ليه هتسيبني هنا؟

. هنا آمن لك، على فكرة، أنا هناك مش عارف الدنيا هتمشي إزاي، وإنتي عارفة إن أنا عندي طار وعندي شغل كثير، ولسه الريس كارم مش عارف هعمل إيه معاه، ولا هيعمل إيه معايا، محتاج أكون متطمن عليكي، وأنا هكون متطمن عليكي أكتر هنا.

مش هينفع أسيبك، أنا لازم آجي معاك.

. عشان خاطري يا حبيبتي، بلاش، صدقيني هنا أفضل لك، وأنا والله هجيلك على طول، إنتي عارفة ما أقدرش أبعد عنك.

أنا مش هينفع أسيبك مهما حصل.

. يا حبيبتي والنبي ساعديني.

بعد إلحاح من وعد للذهاب مع خالد، وبعد مناهدة مع خالد لإقناعها بالبقاء، اقتنعت وعد أخيرًا ولكن قالت:

عايز تروح لوحدك، يبقى لازم توعدني وعد.

ـ أوعدك بإيه؟

أوعدني إنك هتاخد بالك من نفسك عشاني، وترجع لي سليم.

قبّل خالد يديها بابتسامة قائلاً:

ـ أوعدك يا حبيبتي، هرجع لك، متقلقيش.

تواعدا على البقاء معًا مهما فرقتهم الدنيا عن بعض في المكان، ثم انصرف خالد وذهب إلى غرفته، بينما دخلت وعد تبكي، فضمتها رفيدة إلى صدرها وهي قلقة عليها قائلة:

ـ مالك يا بنتي، فيه إيه؟

خالد هيمشي.

ـ يروح فين؟

هينزل مصر.

ـ طب وليه بتعيطي؟

هيسيبني هنا.

ـ طب كويس، ليه بتعيطي طيب؟ زعلانة إنك هتقعدي معايا؟

لا طبعًا، مش كده، بس أنا خايفة عليه أوي.

ـ خالد ما يتخافش عليه يا وعد.

خايفة عليه من اللي حواليه، وهو ناوي على نية وحشة للكل.

ـ متقلقيش، هيرجع لك بالسلامة، خالد ما شاء الله عليه ذكي وقوي.

ربنا يستر.

ـ للدرجة دي بتحبيه؟!!!

أكتر من الدرجة دي كمان، ده أنقذ حياتي أكتر من مرة.

ـ ربنا يسعدكم ويهنيكم ببعض يا رب.

جلست رفيدة تهوِّن على وعد حزنها، وفي اليوم التالي دخلت إليه وعد غرفته فوجدته قد حزم أغراضه وقام بتجهيز شنطته، فقالت:

خلاص يا خالد هتمشي؟!

ـ فيه إيه يا حبيبتي، هو أنا مهاجر؟ إنتي عارفة عندي مصلحة هخلصها وأرجع لك على طول يا قلبي، وأخدك ونلف العالم كله ونعيش أجمل أيام عمرنا، بلاش عياط بقى.

مش هسامحك يا خالد لو جرالك حاجة.

ـ مش هيجرالي حاجة طول ما إنتي في قلبي إن شاء الله.

قام خالد بتوديعها وسلم عليها وتركها وغادر، فوجد أبو سليم منتظرًا أمام القصر ومعه ابنه سليم، فسلم عليه، وحزن سليم على مغادرة خالد، فقال له خالد مواسيًا:

ـ إيه يا عم سليم، مش هتسلم عليا ولا إيه؟!

هترجع تاني يا خالد؟

ـ هرجع يا سليم إن شاء الله.

وأنا هفضل أتمرن لغاية ما ترجع، عشان أدخل البطولة زي ما قلت لي!!

ـ ماشي، بس خد بالك من الآنسة وعد بقى لغاية ما أرجع.

ماشي، في عينيّا.

- تسلم عينيك يا ابن الغالي.

بعد أن سلم عليه، ذهب مع أبو سليم ليركب سيارته، بينما وعد تنظر إليه من أعلى شرفتها وتبكي.

نظر إليها خالد نظرة حبيب مودع، وعيناهما تترغرغان بالدموع، أطال خالد النظر إليها كما لو كان يحتضنها بعينيه، وهي لم تستطع أن تتمالك نفسها، فانهمرت بالبكاء، وارتمت في أحضان صديقتها، مما شق قلب خالد وشق عليه ذلك، فحاول التماسك وغادر.

ركب سيارة أبو سليم حتى أوصله بنفسه إلى السفينة التي سيكون فيها، وعاد هو، وفي السفينة، وقبل وصوله ميناء مصر، دخل إلى حاوية محملة على السفينة، وأغلق عليه أحدهم حتى وصلت السفينة إلى الميناء المصرية، وتم تنزيلها وتحميلها على سيارة نقل ثقيل، وذهبت إلى مخزن الريس كارم.

****

في مخزن الريس كارم كان هناك، يجلس على كرسيه وبجواره الشيشة، ومن حوله رجاله يتقدمهم جابر. دخلت السيارة النقل المحملة بالحاوية التي بها خالد وسط سيارتين أخريين، وفتح أحدهم الباب ليخرج خالد، لكنه لم يخرج، فأمر الريس كارم جابر أن يدخل إلى الحاوية ويبحث عنه، فلم يجده، فخرج قائلًا:

- مش موجود يا ريس.

ففزع الريس كارم بغضب قائلًا:

- يعني إيه مش موجود؟ أمال راح فين؟ إنت متأكد إنه في الحاوية دي؟

رد أحد الرجال الذين كانوا في السفينة والمسؤول عن هذه الحاوية قائلًا:

- أيوه يا ريس، أنا اللي قافل عليه بنفسي.

- أمال راح فين يعني؟ اختفى؟

خرج خالد من كابينة السائق في سيارة أخرى قائلًا:

- ما تقلقش يا ريس، أنا موجود.

أجاب الريس كارم بغضب قائلًا:

- إنت كنت فين؟ إحنا هنستهبل؟

- كنت باتأكد إني جاي أقابلك إنت، مش حد عايز يسلمني، بحاول أكون تلميذك يا كارم بيه.

نظر إليه الريس كارم نظرة إعجاب، بينما جابر نظر إليه نظرة كره وحقد وغيرة، فقال الريس كارم بإعجاب:

- عجبتني، كل مرة تكبر في نظري يا خالد، بس متعملهاش تاني، لما أكون أنا اللي جايبك يبقى هتقابلني أنا.

- أمرك يا كبير، المهم الكلام على إيه؟

وضع الريس كارم يده على كتف خالد قائلًا:

- فيه جديد، بس عايزك تريحلك الليلة دي من السفر، وبكره هفطمك على كل حاجة.

- معلش يا كبير، مفيش وقت للراحة، مش هرتاح ولا يهدالي بال غير لما آخد حقي.

- خلي بالك من حماسك يا خالد ليتوهك، استخدم غضبك صح، ووجّه قوة انتقامك في مكانها الصحيح، عشان تطلع كسبان مش خسران، يلا بس ريّح شوية ونتعشى وأنا أفهمك كل حاجة.

- أمرك يا ريس.

أخذ الريس كارم خالد ودخل إلى غرفة بها طاولة طعام ومعهم جابر، ولكن بين جابر وخالد نظرات كره وتحدٍّ، فقال الريس كارم لخالد:

- جايبلك خبر هيفرحك قوي.

رد خالد بلهفة قائلًا:

- فرّحني يا كبير.

- عرفت الظابط اللي كان مسؤول عن العملية اللي مات فيها الحاج والحاجة، بس مش هو اللي قتلهم، اللي قتلهم عيل صغير كان معاه، بس لسه ما عرفتوش، بس هيروح مننا فين؟

- تسلم يا كبير، جميلك ده في رقبتي، ولو إنك كنت هتطيرها، بس يلا برضه فداك يا ريس.

- أطير إيه يا أهبل إنت؟ أنا عندي نظرة في الناس عمرها ما تخيب أبدًا، أنا بس كنت محتاج أقرص ودنك.

- تحت أمرك يا كبير، بس مين هو الظابط ده؟

- عماد النمر، بس للأسف هو مش هنا الفترة دي، نقلوه بقاله ست شهور، راح الواحات، هنضبط مع حبايبنا اللي هناك ونعرف منه كل حاجة، وهجيبهولك تحت رجليك يا خالد.

نظر جابر إلى خالد نظرة غضب وحقد قائلًا:

- طب ما هو عرف الظابط خلاص وقصّر عليه نص الطريق، ما يجيب باقي معلوماته لنفسه ويجيب حقه لنفسه، ولا هو صغير؟

التفت إليه خالد قائلًا بابتسامة سخرية:

- لأ طبعًا مش صغير، بس مستني أتعلم منك الأول، ولا إنت ناوي تبخل عليا بخبراتك العظيمة؟

ثم التفت إلى الريس كارم متبعًا كلامه قائلًا:

- واضح إن جابر مش مبسوط بوجودي هنا يا ريس.

ابتسم الريس كارم وهو ينظر إلى جابر قائلًا:

- جابر ده ابني، أنا اللي مربيه من وهو عنده ست سنين لغاية لما بقى دراعي اليمين، بس هو ساعات بيغير لما يحس إن حد أخد مكانه، متقلقش يا ابني إنت البكر، ماحدش ياخد مكانك أبدًا، بس عايزك تحط إيدك في إيد خالد وتبقوا كتف في كتف عشان تقدروا تحموا بعض ونحافظ على اللي عملناه ونمشي شغلنا، مش هسمح بأي غلطة ولا إن شغلي يقف.

علت وجه جابر ابتسامة فخر واعتزاز قائلًا:

- كلنا خدامين يا كبير، واللي تقوله سيف على رقبة الكبير قبل الصغير.

- طب يلا كملوا أكل، مش هنقضيها كلام كده، وخالد لازم يرتاح في مشوار بكره.

رد خالد بلهفة قائلًا:

- مشوار إيه يا كبير؟

- ما تستعجلش على رزقك، كمل أكلك الأول.

ثقة جديدة

جلس الريس كارم على الطاولة بجوار خالد، وخلفه جابر، وقام الريس كارم بإعطاء خالد معلومات عن المهمة التي سيقوم بتنفيذها، قائلاً:

دي أول بداية الشغل بيننا.
ـ شرف ليا يا كبير، وخدامك في اللي تقوله.

هتطلع في العملية دي، هتستلم البضاعة من على الحدود ومعاك الرجالة، جابر هيكون موجود قبل المخازن باثنين كيلو يأمنكوا، وهتتابعوا مع بعض باللاسلكي ده.

أعطاه جهاز لاسلكي ليتعامل به، فأخذه خالد قائلاً:
ـ من يد ما نعدمها يا كبير.

خلي بالك من نفسك ومن الرجالة اللي معاك، ومن البضاعة أهم منكم.. معاك ساعة تتعرف على الرجالة وترتب معاهم الخطة، وتديني الأوكيه قبل التحرك، واعتمد.
ـ أمرك يا كبير.

انصرف خالد لتنفيذ المهمة بعد التعرف على رجالة، وكان قد نفذ المهمة على أكمل وجه، وهنأه الريس كارم على هذا العمل الجيد، ونجاح المهمة.

****

شهامة

ذهب خالد إلى سيكا بعدما علم أن الكباريه قد أُغلق بسبب المشاكل التي دارت حوله بسبب غياب الآنسة وعد، فتدخلت الشرطة في الأمر وأغلقت الكباريه.
ـ طب وانت شغال إيه دلوقتي؟
_ ولا أي حاجة، حتى مراتي طالبة الطلاق.
ـ ليه كده؟
_ إنت عارف يا عم خالد أنا مبفهمش في حاجة غير شغلانتنا دي، وبعد لما الآنسة مشيت الشغل وقف، حاولت أدبر نفسي من أي مكان بس مكانتش جايبة همها، ومراتي طلباتها زادت أوي، وزادت معاها المشاكل وسابتلي البيت وأخدت العيال وراحت عند أبوها وطالبة الطلاق، والإيجار اتكسر عليا، والراجل طردنا من الشقة وما اداناش حتى العفش.
ـ متقلقش يا سيكا، هساعدك، بس الأول صالح مراتك ورجعها، وبكره هتيجي معايا هشوفلك شغلانة كويسة، والليلة دي هظبطلك سكن ولمّ مصاريفك شوية وهتمشي، خد بس دول، هاتلك لبس وهات لمراتك هدية، وبالليل هكلمك تكون صالحتها وهقولك على العنوان اللي هتروحه.
أعطاه مبلغاً من المال، ودبر له سكناً عاد إليه هو وزوجته، وفي اليوم التالي قام خالد بالتوسط عند صديق له كان والده يمتلك مكتبة كبيرة، ووفّر عملاً لسيكا بمقابل راتب شهري مجزٍ، مما جعل سيكا سعيداً جداً وزوجته راضية عنه، واستقرت أموره المادية والعائلية، فشكره سيكا قائلاً:
_ جمايلك كترت أوي عليا يا خالد، الدين بقى اتنين.
ـ بس يا ابني بلاش هبل، وبعدين إنت ناسي إنك سبب باب الخير اللي اتفتحلي ده.
ثم أخرج زفيرًا ممتلئًا بالهموم قائلاً:

ـ والله ما أنا عارف هو خير ولا شر، المهم خد بالك من نفسك ومتزعلش مراتك تاني، ولو احتجت أي حاجة في أي وقت كلمني، ولو ما لقيتنيش أطلبها من صاحب المكتبة بدون خجل ولا كسوف.
فشكره سيكا، ثم انصرفا.

****

بعد ثلاثة أشهر من العمل الجيد مع الريس كارم، ازداد قدر خالد لدى الريس كارم، وصار بمثابة ذراعه الأيمن مع جابر، وازداد اعتماده عليه أكثر، ولكنه بصورة متوازية قد ازداد كره جابر له والحقد عليه لما قد وصل إليه من مكانة لدى الريس كارم، وازدادت العداوة بينهما أكثر فأكثر.

وعلى الصورة المتوازية أيضًا استمر علي بيه في البحث عن خالد وابن رجل الأعمال والمسؤول عن قتل عبد الرزاق، واتسعت المتاهة على السيد "علي بيه" إلى أن جاء اليوم الموعود.

****

في مقر الريس كارم

جلس الريس كارم على كرسيه، ومن أمامه جابر وخالد، قائلاً:

_ دلوقتي انتوا ولادي اللي مقدرش أستغني عنهم، والعملية اللي جاية دي كبيرة ومهمة أوي، بس مش أهم منكم، عشان كده لازم تاخدوا بالكم من نفسكم كويس أوي.

وجّه حديثه إلى خالد قائلاً:

_ أنا محتاج البضاعة دي توصل المخازن، عشان كده جابر اللي هيكون معاها المرة دي، وانت هتكون مع التمويه.

نظر جابر إلى خالد نظرة استهتار، فرد خالد على الريس كارم قائلاً:

. طب وليه كده يا ريس؟ إيه الجديد؟

_ فيه أخبار من عيوننا اللي هناك بتقول إنهم بيدوروا عليك وبيراقبوك، أنا مش بسلمك يا خالد ولا ببيعك، بس أنا متأكد إنك الوحيد اللي هتقدر تتعامل معاهم، ومتاكد إنك لو اتمسكت مش هنضطر نخلص منك، فعايزك تسحبهم بعيدًا.

رد خالد النظرة إلى جابر نظرة فخر واعتزاز، فأَتبع الريس كارم قائلاً:

_ أنا محتاج البضاعة دي، والعملية دي لازم تتم بأي شكل، فلازم نتصرف صح.

رد خالد بفخر قائلاً:

. اللي تأمر بيه يا كبير.

انصرفوا وهم يتبادلون النظرات، وبينهما تحدٍّ وكرهٌ رهيبٌ لم ولن ينتهِ.

****

في قسم الشرطة

جلس علي بيه على مكتبه، فدخل عليه الضابط إيهاب مساعده قائلاً:

_ باشا؟ فيه أخبار حلوة.

. خير يا إيهاب؟

_ في إخباريّة بتقول إن فيه عملية هتتم النهاردة بالليل، وليها علاقة بالواد اللي بندور عليه.

. انت متأكد من الكلام ده؟

_ أيوه يا فندم، حضرتك عارف إني عمري ما جبت أخبار غلط.

. مش يمكن تكون عملية تمويه زي المرة اللي فاتت عشان يعملوا حاجة تانية!!!

_ وارد يا فندم، بس هو معدش ليه أي حاجة هنا عايزها، وفي نفس الوقت برضه نعمل احتياطاتنا.

. طيب جهّزلي القوة، وانت اللي هتطلع معاهم، وأنا اللي هأمّن القسم بنفسي.

_ تحت أمرك يا فندم.

انصرف إيهاب يجهّز القوة، وقام علي بيه بإحاطة قسم الشرطة وتأمينه، وأشرف هو على هذا التأمين خوفًا من مجيء خالد أو أي عناصر أخرى لاقتحام قسم الشرطة كما حدث سابقًا، وأعطى أوامر وإنذارًا لأكثر من جهة للاستعداد، لربما يكون المقصود مكانًا آخر غير هذا القسم..

أثناء العملية

قام جابر بتوصيل البضاعة إلى المخازن متمًّا عمليته، بينما ركب خالد في سيارات التمويه، وأثناء سيرهم وجدوا أنفسهم محاصرين بالعديد من سيارات الشرطة، وقوات تحيطهم وتُصوّب عليهم أسلحتها، فنزل خالد من السيارة ومعه رجاله رافعين أيديهم، فقامت قوات الشرطة بتفتيش السيارات، فوجدُوها محمّلة بالخضراوات والفواكه، وليس بها أي نوعٍ من المخدرات أو الأسلحة، فاغتاظ ضابط الشرطة إيهاب، وبالرغم من ذلك أخذوا "خالدًا" معهم في سياراتهم، ودعوا الباقين يذهبون، فأمر خالد رجاله بالعودة بالبضاعة إلى مخازن الخضراوات والفاكهة لتوزيعها في السوق غدًا، وذهب هو معهم.

أتت الأخبار إلى الريس كارم بأن خالدًا تم القبض عليه، فلا يُظهر القلق عليه، ويبدو مطمئنًّا كما لو كان ينتظر شيئًا..

****

في قسم الشرطة

جلس خالد مكبَّل اليدين أمام طاولة في غرفة لها جانب زجاجي، ينظر إليه علي بيه من الخارج ومعه المأمور شكري بيه، قائلاً لعلي بيه:

. خد بالك عشان ممكن يبقى مش هو، ولو هو فده مش سهل، أوعى تنفعل واعمل حسابك، هو لوحده مش كفاية ومش هيفيدنا بحاجة، ولازم نستفيد منه بأكبر قدر ممكن.

_تحت أمرك يا فندم.

فدخل علي بيه على خالد بخطوات بطيئة قائلاً:

_حمدًا لله على السلامة يا عم خالد.

وجه خالد نظره إليه قائلاً:

. الله يسلم معاليك يا بيه.

جلس علي بيه أمامه على الطاولة وأخرج سلاحه من جرابه ووضعه أمامه قائلاً:

_بصراحة حابب أشكرك وأعاتبك، مع إن العتاب بين الأحباب، بس شكلنا كده هنبقى حبايب أوي.

. شرف ليا يا باشا، بس معلش مش فاهمك، تشكرني على إيه وتعاتبني على إيه؟ أعتقد إننا أول مرة نتقابل، وبرضه أنا مش فاهم أنا موجود هنا ليه؟

_لا معلش، هي مش أول مرة، إحنا اتقابلنا قبل كده، بس انت شكلك بتنسى. عمومًا هقولك انت موجود هنا ليه.

قام من مكانه بخطوات بطيئة حوله قائلاً:

_إنت هنا عشان أشكرك على عبد الرازق اللي انت سلمتهولنا، وعشان أعاتبك على الحاجة اللي إنت أخدتها مني. يا راجل، حد يدخل القسم ويسرق حرز زي ده ويخرج ومفكر نفسه إنه هيهرب للأبد؟!

. أنا مش فاهم إنت بتتكلم على إيه بالظبط، عبد الرازق مين؟ وحاجة إيه اللي بتقول إني أخدتها؟ أنا معرفش انت بتتكلم على إيه برضه!

_وأنا مصدقك إنك متعرفش، وهعمل نفسي كمان معرفش إنك خالد، وبالتالي هتخرج دلوقتي عشان إنت ما اتمسكش معاك حاجة، ده كان مجرد تحري بسيط وخلص. بس أحب أقولك زي ما إنت كنت في إيدي ومشيتك بمزاجي، أقدر أجيبك تاني وآخد حقي وحق البلد منك. بس أنا حاسس إنك ذكي وعارف مصلحتك، وعارف كمان إن آخرتك مش هتفرق حاجة عن عبد الرازق، وحقك اللي إنت بتدور عليه محدش هيقدر يساعدك فيه غير الحكومة، حتى لو كانوا هما السبب في اللي حصل.

_بس قبل كل ده لازم تعرف الحقيقة، مش اللي سمعته، لأنك ماشي وراهم على عماك، وهما كده كده دلوقتي أو بعدين هييجوا، وساعتها هتكون انت معاهم يا إما مع عبد الرازق، ومحدش هينفعك. فكر في الكلام ده كويس واعرف مصلحتك، وأنا مكتبي مفتوح. بس خد بالك، لو جيبتك تاني مش همشيك حتى لو مش معاك حاجة، وأكيد انت عارف كويس أوي إني أقدر أجيبك تاني وتالت وعاشر. تقدر تقوم تروح.

أخرج مفتاحه وفك قيود خالد وتركه يغادر الغرفة، بينما خالد وضع يده على رأسه وكأنه قد أنهكه التفكير.

عاد علي بيه إلى مكتبه، فدخل عليه الضابط إيهاب قائلاً:

- إنت سيبته يمشي إزاي يا باشا؟ سيادتك إحنا متأكدين إنه هو؟

ما تقلقش يا عم إيهاب، أنا هعرف أجيبه إزاي. هو خلاص تكة كمان وهيبقى خاتم في صباعي.

- أنا مش فاهم سيادتك بتفكر إزاي، بس ماشي، تحت أمرك.

****

توهان

عاد خالد إلى منزله مسلّمًا على عم توفيق، بواب العمارة، ثم صعد إلى شقته ووقف في البلكونة وأشعل سيجارته وهو يفكر في كلام الضابط، وهل حقًا سيتمكن من مساعدته أم يريد أن يوقع به. وبينما هو كذلك لمح رجلاً يقف من بعيد تحت شقته يقوم بمراقبته، فأغلق الشرفة ودخل إلى سريره وأطفأ سيجارته وخلد إلى النوم.

في اليوم التالي ذهب إلى الريس كارم في مكتبه، وظلا يتحدثان كثيرًا عن أمور الشغل وعن الضابط الذي يبحث عنه خالد.

بعدها خرج خالد، فتقابل مع جابر، فنظر إليه جابر نظرة استغراب قائلاً:

ـ حمد لله على السلامة، كفارة.

ـ الله يسلمك، كفارة إيه يا عم؟ هو أنا كنت محبوس؟ دي مجرد زيارة، ما تقلقش. حبايبي كتير، لو وقعت ولا حاجة في أي وقت، كلمني بس وما تقلقش، أو قولهم إنك تبع خالد بيه، بس وهيعملوا معاك الصح.

انصرف خالد بعيدًا، بينما ظل جابر ينظر إليه نظرات استغراب.

****

في اليوم التالي ذهب خالد إلى علي بيه في شقته قبل عودته من العمل، فدخل خالد مكتب منزله وأشعل الأنوار، وترك باب المكتب مفتوحًا. وعند عودة علي بيه من العمل رأى مكتبه مفتوحًا والنور مشتعلاً على

غير العادة، فأخرج سلاحه ودخل المكتب فوجد خالد يجلس على مكتبه، فوجه إليه سلاحه قائلاً:

_إنت إيه اللي جابك هنا يالا؟ ودخلت هنا إزاي؟

. نزّل سلاحك يا باشا، أنا جاي أتفق معاك، ثم هي قصة يعني تفتح باب شقة ولا باب مكتب؟! مش قصة يعني، وبعدين انت مش قلت مكتبي مفتوح لك في أي وقت؟ أهو أنا جيت.

_أنا باتكلم على مكتب شغلي، لكن مش مسموح لك تدخل بيتي بدون إذن.

. ما هو برضه إنت اقتحمت العربيات بتاعتي اللي كان فيها البضاعة ورجالتك بهدلوها وما اتكلمتش. عموماً أنا فكرت في الكلام اللي قلت لي عليه، وجاي عشان نتفق.

_نتفق على إيه؟

. عايز أعرف الحقيقة اللي اتكلمت عليها وأنا عندك في القسم.

_وإنت بقى فاكر إن الموضوع بالساهل كده؟

. لا طبعًا مش بالساهل، وعشان كده أنا جايب لك عربون محبة. الملف ده فيه حاجات مهمة هتنفعك تخص رجل أعمال المفروض إنه محترم، هتبقى ضربة حلوة ليك. خلص، وهتلاقيني عندك من غير ما تبعت لي.

تركه وهمَّ بالمغادرة، وحين وصل إلى باب المكتب التفت قائلاً:

. صحيح، بلاش الراجل الطيب اللي واقف تحت شقتي ده على طول، بيتعب على الفاضي، والجو برد بصراحة. تصبح على خير يا باشا.

غادر خالد شقة علي بيه، بينما علي بيه جلس على المكتب يتفقد الملف، فإذا به معلومات مهمة عن رجل أعمال كبير يقوم بعمليات النصب والاختلاس. وذهب علي بيه إليه في اليوم التالي بتصريح ضبط وإحضار، وألقى القبض عليه، وأغلقت كل شركاته، وحُجز على أمواله.

ثم في الأسبوع الذي يليه ذهب خالد إلى قسم الشرطة وأعطى علي بيه بعض معلومات، وعند خروجه من القسم كان جابر في انتظاره يراقبه، فقام بتصويره عدة صور من قريب ليظهر ملامح وجهه ويثبت أنه خالد، ثم ركب خالد سيارته وغادر.

****

على كورنيش النيل وقف علي بيه بصحبة خالد قائلاً:

_ومين الكبير بتاعكم؟

ـ محدش يعرفه، بنتواصل معاه عن طريق جوابات بنلاقيها تحت الباب، رسايل على التليفون، مكالمات مجهولة المصدر، وبيجلنا أوامر بالعمليات واحنا بننفذ، وفلوسنا رمزية، المقابل الحقيقي هو الأمان.

أمان؟! وإنت مفكر إنك معاهم في أمان؟! ولو إني مش داخل عليا الكلام ده، بس ماشي هعمل نفسي مصدق.

ـ مفيش في إيدك حاجة غير إنك تصدق.

_لا يا حيلتها، في إيدي كتير، زي ما في إيدي ما أروحكش من هنا.

ـ ما تفوق بقى يا باشا من الوهم ده، وبلاش البدلة تغرك أوي كده عشان ما تتوسخش منك.

_ما تتكلم عدل يا روح أمك، إنت بتكلم ضابط شرطة، مش واحد بيلعب معاك ع القهوة.

هذا ما قاله بغضب شديد، ورد عليه خالد بصوت عالٍ أيضاً قائلاً:

. ما بلاش أم النعرة الكدابة دي والنفخة اللي ع الفاضي دي، ظابط شرطة، ظابط شرطة! عدوي وعدوك واحد، ومش هتعرف توصله إلا عن طريقي وبمزاجي. هما السبب في قتل أبويا وأمي، وهما السبب في تدمير الشباب كل يوم وفي كل مكان، وهما السبب في خراب كتير ودمار مالوش نهاية. وشوف بقالكم كام سنة مقدرتوش تمسكوا نص دليل على الناس اللي أنا سلمتهالك. يعني أنا وإنت واحد، إحنا الاتنين بنخدم البلد، بس الفرق بيني وبينك إنك بتخدمها بالبدلة الميري، يعني يوم ما يجرالك حاجة هتبقى شهيد وتبقى أسطورة. إنما أنا يوم لما يجرالي حاجة هبقى إرهابي ابن كلب، وكلب وراح وملوش ديّة، بالعكس كمان. إنت بتقبض مرتب وقاعد على مكتب وبتنام آخر الليل مرتاح، لا قلبك بيوجعك على فراق أب ولا أم ولا أخ. إنما أنا؟! أنا مبغمضش عيني إلا وصورة أبويا وأمي سايحين في دمهم ما بتفارقش عنيا ولا بالي. حياتي في خطر كل لحظة عشان أجيب الفلوس اللي تساعدني، اللي حضرتك بتلاقيها آخر الشهر في الفيزا.

طب مانا كمان حياتي في خطر وشايل روحي على كف عفريت.

. إنت ضابط، باشا أياً كان، إنت بتحمي البلد وبتحافظ عليها من الخونة اللي زَيّي، أما أنا بقى؟! أنا الخونة اللي إنت بتحمي البلد منهم، عرفت بقى يا باشا الفرق بيني وبينك؟

عمّ الصمت بينهما لحظات، ثم واصل خالد كلامه:

ـ اللي عليه الدور قدامك أهو يا باشا.

تركه خالد وغادر، بينما وقف علي بيه يحدق فيه بعدما ذهب.

****

في اليوم التالي ذهب خالد إلى الريس كارم، وعندما دخل عليه المكتب دخل جابر خلفه وأغلق الباب ثم أشهر مسدسه ووجهه إلى رأس خالد قائلاً:

ـ حلو الشغل مع الحكومة صح؟ أنا من الأول ماكنتش مرتاحلك.

رد الريس كارم بغضب قائلاً:

في إيه يا جابر؟

رد جابر وهو يخرج من جيبه ظرفًا أبيض ويضعه أمام الريس كارم قائلاً:

ـ البيه شغال مع الداخلية، أنا شايفه بنفسي وهو داخل القسم أكتر من مرة، ودي الصور معاك أهي يا كبير.

ثم وجه حديثه إلى خالد قائلاً:

ـ مفكر نفسك شبح وخطر؟ لا ده عندها يا جميل.

نظر الريس كارم في الصور، ثم ابتسم قائلاً لجابر:

_طب نزل سلاحك يا جلنف.

أنزل إيه يا ريس؟ الصور قدامك أهي!

_يا ابني أنا عارف إنه بيروح القسم، وعارف هو بيقول إيه للداخلية، هو إنت مفكرني تلميذ؟! إيه، بتستقل بأبوك ولا إيه ياض؟

أخفض سلاحه قائلاً بخجل وخوف:

ـ ما عاش ولا كان يا كبير اللي يستقل بيك! وهنعمل معاه إيه بقى؟

هتعمل معاه إيه في إيه؟

ـ يا كبير بقولك بيوصل أخبارنا للداخلية.

هو بيوصل آه للداخلية، بس مش أخبارنا، هو بيوصل اللي بقوله عليه يوصله.

ـ يعني إيه يا ريس؟

يعني أنا عارف كل كبيرة وصغيرة، وأنا اللي قايله يعمل كده. بلاش تتخن مخك يا بقف، واللي حصل ده مفيش مخلوق يعرفه، إنت فاهم؟

طأطأ رأسه وينظر إلى خالد نظرات حقد، ثم انصرف قائلاً:

ـ اللي تأمر بيه يا ريس؟ بعد إذنك.

نظر الريس كارم إلى خالد بابتسامة قائلاً:

اقعد يا خالد.

جلس خالد أمام الريس كارم وهو ينظر إلى جابر حين انصرافه، بعدها أغلق الباب خلفه، فقال:

ـ ما بيطقنيش جابر خالص، مش عارف ليه!

معلش، غيران شوية عشان إنت بقيت بتاخد مكانه في حاجات كتير.

ـ خدامك يا ريس.

المهم، طمني، إيه الأخبار؟

ـ كله تمام زي ما أمرت يا كبير.

حلو أوي، طب لما يسألك إيه مصدر معلوماتك دي يا خالد؟

_يا باشا أنا ليا طار عندهم، هما السبب في قتل أبويا وأمي، مش الحكومة، حتى لو كانت الحكومة هي السبب. أنا مبنامش الليل عشان أجمع عنهم معلومات وأوديهم في داهية، كلهم واحد واحد.

هذا ما قاله خالد لعلي بيه وهو عنده في مكتبه عندما سأله عن مصدر معلوماته، ثم اتبع خالد قائلاً:

. ليا حبايبي كتير بيساعدوني إني أجيب المعلومات دي، ثم حضرتك أنا مش مقيد بقوانين وأوامر، بنفذ اللي أنا عايزه، في الوقت اللي أنا عايزه، بالشكل اللي أنا عايزه، مش زيك بستنى أوامر من حد.

****

وقف جابر في البلكونة ونظر منها إلى ساحة أراضٍ واسعة، فوقف الريس كارم بجواره قائلاً:

_بتتصرف من دماغك ليه يا جابر؟

ارتبك جابر قائلاً:

. ما عاش ولا كان يا كبير اللي يتصرف من دماغه ويكسرلك كلمة، بس أنا بصراحة مش مرتاح له، وكنت بأمنك يا كبير، هو غلط لما الواحد يخاف على أبوه اللي رباه.

ربت الريس كارم على كتفه قائلاً بابتسامة:

_تعرف ياض، على قد ما إنت غلطت واتصرفت من دماغك، بس اتبسطت منك أوي، وعجبني خوفك على أبوك وإنك عايز تحميه وتأمنه كده. أنا يا ابني لو كنت باعتمد عليه كتير وفي حاجات صعبة وبمدح فيه،

فده عشان أنا بحافظ عليك، عشان معنديش استعداد أخسر ابني اللي ربيته على إيدي. ابني اللي متأكد إن يوم ما يجرالي حاجة، هو اللي هيقف في ضهري مش حد تاني، مهما كان وفاؤه وإخلاصه ليا. عرفت بقى ليه يا جابر أنا ببعدك إنت عن الخطر؟ عشان إنت اللي هتكمل بعدي يا جابر.

احتضن جابر الريس كارم قائلاً:

. بعد الشر عليك يا كبير، كلنا عايشين بحسك وفي خيرك، وأفديك بعمري يا ريس.

عارف يا جابر، وعشان كده عمرك وحياتك غاليين عندي، ولازم أحافظ عليهم. يلا يا ابني روح ريّحلك شوية.

غادر جابر وترك الريس كارم.

****

_وهو إنت هتفضل تجيبلي ملفات كده وخلاص، ومش هتنفذ المطلوب منك؟

. هو إنت هتاكل وتنكر ولا إيه؟ هو إنت يعني من غيري كنت هتعرف توصل للملفات دي؟

_معادش ليهم لازمة عندي، مش عايزهم، أنا عايز أعرف اللي إنت شغال معاه.

. قولتلك ماعرفهوش.

_بس أنا عارفه.

. خلاص روح اقبض عليه.

_قريب، ما تستعجلش. الريس كارم، كبير السوق، هو في المسمى كبير سوق الخضار والفاكهة، إنما في الحقيقة كبير سوق المخدرات والسلاح.

ضحك خالد ضحكة عالية، ضحكة استهزاء وسخرية قائلاً:

ـ الريس كارم؟ اللي أنا أعرفه إن كلية الشرطة بتاخد من ٦٠%، إنما تخرج ٦٠% دي جديدة عليا.

رد علي بيه بغضب شديد قائلاً:

_ما تتعدل ياض بدل ما أعدلك.

ـ اعدلني يا باشا، اعدلني وروح اقبض على الريس كارم. بس نصيحة مني، بلاش تضيع سلسلة الإنجازات اللي إنت عملتها بحركة خايبة زي دي، بلاش تتهور يا باشا.

أمال مين اللي خطف البنت بتاعتك اللي إنت جيت سرقت الحرز عشانها؟

ـ بعتلي رجالته وكانوا متلتمين ومسلحين، ما أنصحكش تقابلهم لوحدك.

ثم أتبع قائلاً:

ـ باشا الليلة دي كبيرة أوي، وعشان تمسك الخيط الكبير فيها، لازم تقطع كل الخيوط الصغيرة، عشان ما تتلفش حواليك وتخنقك.

هم خالد بالمغادرة تاركاً الملف أمام علي بيه على المكتب قائلاً:

ـ بلاش تتصرف من دماغك يا باشا، ولازم تعترف إني صاحب الفضل للي إنت فيه.

ذهب نحو الباب ليخرج، وعندما فتح الباب وجد اثنين من امناء ألشرطة صوبوا السلاح نحوه، ودخل آخر ليضع الكلبشات في يديه.

التفت خالد إلى علي بيه بنظرة شديدة المفاجأة بسبب الغدر به، فقال علي بيه:

مش مقتنع باللي إنت بتقوله، كفاية عليك كده، مش قولتلك وقت ما أحب أجيبك هجيبك.

ثم أشار إلى العساكر قائلاً:

_خدوه عالحجز.

ذهبوا به إلى الحجز وألقوه وأغلقوا عليه الباب، بعدما انفجر خالد غاضباً وصاح فيه قائلاً:

. إنت الخسران، وده مكانش اتفاقنا، بس خليك فاكر إنت اللي بدأت.

****

خبر سيئ

فى اليوم التالى دخل "حسن" على الريس كارم وهو فى مكتبه قائلا:

باشا.

. قول يا وش النحس.

_خالد اتقبض عليه.

_يخرب بيت أم أخبارك، غور في داهية.

خرج حسن من مكتب الريس كارم وجلس يفكر فى الأمر وماذا سيفعل فى هذه المصيبة؟!

****

دق هاتف علي بيه وهو فى مكتبه فرد قائلا:

= معالي الباشا، صباح الخير يا فندم، أيوه يا فندم حصل.

همَّ واقفًا علي بيه مفزوعًا لما أتته من أوامر وتعليمات قائلا:

= تحت أمر معاليك يا فندم، اللي تؤمر بيه يا فندم، في رعاية الله.

جلس على مكتبه في حالة ذهول تام، ثم قام بالمناداة على العسكري خارج مكتبه.

****

أوامر جديدة

جلس الريس كارم ومعه جابر يتشاوران في أمر خالد، ماذا يصنعا معه قائلا:

خالد اتمسك يا جابر، تفتكر هيهرب ولا هيعمل إيه؟

ـ إنت مش كنت بتقول هيعرف يتصرف ومش هنضطر نخلص منه؟ أهو اتمسك، يورينا بقى هيعمل إيه؟

_أنا متأكد إنه هيعرف يهرب منهم.

ـ أنا متأكد إنه هيسلمنا يا ريس، المفروض نخلص منه، أو نخلصه من حبسته، على الأقل نضمن إنه ما يوقعناش.

في هذه اللحظة دق هاتف الريس كارم برقم غريب يحمل صورة غريبة، فَهِم منها الريس كارم إنها مكالمة من الكبير، ففتح الهاتف قائلا:

أوامرك يا كبير.

= المعلومات دي صحيحة؟

معلومات إيه سيادتك؟

= خالد!!!!!

صحيحة معاليك.

= وناوي تعمل إيه؟

هبعت حد يخرجه.

= لا، ما تبعتش حد.

طب أؤمرني معاليك.

= لو عرف يهرب ابعتهولي، معاك يومين، لو ما هربش خلص.

أوامر معاليك.

أغلق الريس كارم الهاتف ووقف مستغربًا أمام جابر، ولما سأله جابر عما حدث، أخبره بكلام الكبير، فابتسم جابر ابتسامة خفيفة ظنًّا منه أنه سيتم التخلص من خالد، ولكن في هذه الأثناء حدث ما لم يتوقعه أحد على الإطلاق.

****

مفيش نوم

وقف علي بيه في بلكونة غرفته وأشعل السيجارة العاشرة في تلك الليلة التي لم يعرف النوم طريق عينيه، على غير العادة حيث إنه كان دائم النوم مبكرًا والاستيقاظ مبكرًا كعادة رجال الشرطة وطبيعة عملهم.

ولكن في هذه الليلة وقف في البلكونة، ولما رأته زوجته أوشك على إفناء علبة السجائر كاملة في ليلة واحدة، وهو شارد الذهن، دائم النظر في جواله وكأنه ينتظر شيئًا، سألته مستفسرة عن حاله قائلة:

_مالك يا علي، فيك إيه الليلة دي؟

_مفيش.

_أمال مالك؟ مش عوايدك يعني السهر والسجاير دي كلها ولسه بلبس الشغل زي ما إنت، مغيرتش حتى.

عادي.

_هو إيه اللي عادي؟ هو أنا مش عارفاك ولا إيه؟

رد بغضب شديد أخافها وأسكتها وكأنها لأول مرة ترى فيه هذا الشخص قائلًا:

_قولتلك مفيش حاجة، روحي نامي وسيبيني في اللي أنا فيه.

وكأنها لم تعرفه! وكأنها أول مرة ترى فيه ذلك الرجل! ضابط الشرطة الدائم الهدوء، الحكيم، الذي عنده تحكم عالٍ في النفس، ذلك الزوج الرومانسي اللطيف، انقلب في لحظة إلى رجل آخر لم تعرفه هي، وكأنها أول مرة تراه.

دخلت إلى غرفتها باكية على سريرها، بكت بصوت مكتوم وأنين داخلي ودموعها قد ملأت عينيها، ولكنه لم يلتفت لها ولم يلقِ لها بالًا، حتى جاء ما كان ينتظره.

دق جرس هاتفه، فأسرع إليه قائلا:

_ألو، إزاي ده حصل؟ وإمتى؟ طيب، طيب أنا جاي حالًا.

أطفأ السيجارة التي كانت في يده وأخذ سلاحه ومفاتيحه وهاتفه من على الطاولة. لمح عين زوجته وهي مليئة بالدموع، واستقرت عينه في عينها ورآها وهي تبكي، ولم يقل شيئًا ولم يعِرها أي انتباه وغادر، مما أشعل النار في قلبها وزاد حرقتها وبكاءها.

وحينها لم يعد الأنين مكتومًا، بل أخرجت ما في جوفها من أنين وبكاء بصوت مسموع، وبدأت الهواجس والشكوك تدور في رأسها: ما الذي يشغل باله هكذا؟ ما الذي يقلقه هكذا؟ ما الذي بدّل حاله بهذا الشكل؟

وكعادة أي أنثى، ليس لشكوكهن إلّا طريق واحد، وهو أن هناك أنثى أخرى في حياته، وهي المسؤولة عن تبديل حاله هكذا، وكأنها قد نسيت أنه ضابط شرطة، دائمًا ما يلاحق المجرمين، وعمله دائم المخاطر.

****

مفاجأة

دخل خالد في هذه الأثناء على الريس كارم، فقام الريس كارم وجابر مفزوعين لما رأوه، واستغربوا كيف تمكن خالد من الهروب، فبدأ الحديث الريس كارم قائلا:

_إزاي؟ إنت هربت؟ طب إزاي؟ ده إنت لسه ممسوك امبارح؟

. إنت مش قولت إني الوحيد اللي لو اتقبض عليا مش هنضطر نخلص منه؟ إيه، مفيش حمدًا لله ع السلامة ولا إيه؟

نظر الريس كارم إلى جابر في دهشة، ثم أعاد النظر إلى خالد قائلا بابتسامة عريضة:

_ألف حمدًا لله ع السلامة.

. الله يسلمك يا كبير.

ثقتي فيك في محلها يا خالد.

. تلميذك يا كبير.

_شرفتني يا خالد، المهم فيه أخبار هتبسطك أوي.

. أؤمرني يا ريس.

_الكبير عايزك.

استغرب خالد قائلًا:

. عايزني إزاي؟

_عايزك تشتغل معاه هو.

. ليه؟

_اعتبرها ترقية يعني، يلا جهز نفسك عشان تتحرك كمان ساعة.

. هروحله فين؟

_هتعرف كل حاجة، بس يلا جهز نفسك.

. طب ممكن طلب قبل ما أمشي؟

خير.

. عايز أعمل مشوار مهم قبل ما أمشي.

_مشوار إيه بس يا ابني اللي أهم من اللي إنت رايحه؟

. معلش والله، واحد صاحبي عايز أسلم عليه قبل ما أمشي، الله أعلم هرجع إمتى.

ماشي يا خالد، بس مش أكتر من ساعة.

. حاضر يا ريس، اللي تؤمر بيه.

انصرف خالد وذهب إلى سيكا بعدما حدثه في الهاتف وأخبره أنه يريده في موضوع مهم، فتقابلوا، فقال خالد لسيكا:

. أخبار شغلك إيه دلوقتي؟

_الحمد لله، تمام جدًا.

. طب والبيت؟ إيه الدنيا فيه؟

_الحمد لله، الجو مستقر جدًا، والمدام بقيت أحسن الحمد لله.

. طب كويس، ربنا ييسرلك حالك دايمًا.

_يا رب، المهم إيه الموضوع المهم اللي كنت عايزني فيه؟

. عايز أسألك سؤال.

_اسأل.

. إيه رأيك لو اتقبض عليك دلوقتي؟

_يتقبض عليا؟ فال الله ولا فالك يا عمنا! ثم يتقبض عليا بتاع إيه؟ أنا نضيف وإنت عارف، وإنت السبب كمان.

. بس ما كنتش نضيف، وأنا عارف برده.

_مش فاهم قصدك إيه يا خالد، هو فيه حاجة؟

. لا يا عم، أنا بدردش معاك بس.

الكلام مش مريحني، بس ماشي.

. طب إيه رأيك لو كان اتقبض عليك قبل كده؟

في إيه يا عم خالد؟ إيه الأسئلة دي؟

. جاوبني وهقولك، يعني مثلًا لو كان اتقبض عليك وإحنا رايحين إسكندرية بالحاجة اللي كانت مع وعد؟

_كنت هروح ورا الشمس، وجميلك في رقبتي ومش هنساه أبدًا.

. عايزك ما تنساهوش، بس اعتبر نفسك اتقبض عليك، عندك استعداد تعمل إيه عشان تخرج منها؟

_ما تجيب من الآخر يا عم خالد وتقول عايز مني إيه.

. عايزك تكفّر عن ذنبك.

_ياريت، بس إزاي؟

. تساعد غيرك من الشباب، إنك تبعدهم عن القرف ده.

_موافق، بس هو أنا بإيدي إيه يعني؟

. فيه حاجة في إيدك تعملها، ممكن تكون سبب إنك تساعد غيرك، بس اللي أنا متأكد منه إنها هتبقى سبب في تكفير ذنوبك.

أنا معاك يا خالد، بس قولي إنت ناوي على إيه؟

أخرج خالد من جيبه شيئًا يشبه كارتًا شخصيًا أو كارنيه، ووقف أمام سيكا واضعًا عليه يده ليخفي ما فيه لثوانٍ، ثم رفع يده من عليه ورفعه في مستوى بصر سيكا، فانصدم سيكا مما رآه ووقف على قدميه بعدما أمسكه وعلم ما به قائلا:

_الرائد عمر صلاح البدوي، ظابط بالمباحث المصرية؟!

تابع سيكا بتلعثم وهو ينظر إلى خالد قائلا:

_حضرتك ظابط؟ طب إزاي؟ وإزاي الحكومة بتدور عليك؟ وكنت محبوس؟

. مش مهم إزاي، المهم ليه؟ وده مش هيفيدك بحاجة دلوقتي، المهم مستعد بقى تكفّر عن ذنبك؟

رد سيكا بتلعثم وتلجلج قائلا:

_تحت أمرك يا باشا، أنا... أنا تحت أمرك، اللي تأمر بيه!

. رقم واحد، ما أسمعش منك كلمة باشا دي، ولا تجيب سيرة الموضوع ده، ولا حتى بينك وبين نفسك، ولا حتى وإنت في الحمام. أنا خالد صاحبك وبس، حتى لو إحنا لوحدنا.

رقم اتنين، تنفذ اللي أقولك عليه بالحرف، لا تسأل ولا تستفسر، ومفيش مخلوق يعرف أي حاجة عني، ولا حتى أبوك وأمك الله يرحمهم، وانت

بتزورهم كده في المقابر متفاتحهمش في الموضوع ده، يعني ولا مراتك ولا عيالك، ولا حتى الآنسة لما تشوفها، لأنها أصلًا ماتعرفش حاجة عن الموضوع.

واللي هيعرف حياتك وحياته هتبقى في خطر.

رقم تلاتة، عينك متغفلش عن والدة الآنسة وأخوها بأي شكل.

رقم أربعة، وده الأهم، هتاخد الميل ده وقرينك نفسه مايعرفش حاجة عنه.

أعطاه ورقة مكتوب فيها اسم ورقم سري لإيميل على موقع الإنترنت، ثم اتبع قائلا:

ـ هبقى أبعتلك عليه ملفات، هتنزلها على كارت ميموري وتديها لواحد اسمه عم توفيق، ومالكش دعوة بحاجة بعد كده، تمام؟

أوامرك يا باشا.

نظر خالد إلى سيكا في غضب قائلا:

ـ أنا لسه بتكلم دلوقتي، قولت أنا إيه؟ أنا خالد! أكتر من كده هتندم إنك عرفت حاجة.

أنا مش بخوفك مني ولا بكرهك فيا، بس أنا بعرفك، لأن الموضوع خطير.

أنا لولا إني شوفتك حد نضيف وعايز تعيش، كان زمانك مع اللي راحوا.

وبالمناسبة، كنت عارف إن الكباريه بتاع الآنسة، والراجل اللي إنت شغال معاه في المكتبة برضه تبعي، بس ما يعرفش حاجة، في واسطة بيني وبينه.

عملت كده عشان أخليك نضيف، من غير سجن ومحاكم وقرف.

ياريت ثقتي تبقى في محلها زي ما كانت في محلها زمان.

_ما تقلقش يا خالد، هشرفك وأرفع راسك.

. تمام يا سيكا.

سلم عليه وودعه، وعاد إلى الريس كارم ليذهب إلى رحلته الجديدة.

****

رحلة جديدة

ذهب خالد إلى الريس كارم وجهّز نفسه للسفر حسب أوامر الكبير، حيث إنه كان في فرنسا في رحلة علاج، وكان كالعادة، وكعادة أي كبير لتجارة كهذه، أنه يكون كبيرهم متابعًا لكل من يعمل تحت يده حتى يضمن سلامة تجارته وسلامته الشخصية، فأرسل إلى خالد لما رأى منه من قوة وحكمة وذكاء وشجاعة، فأراد منه أن يحمي ابنته، حيث إنه كان في مرضه الأخير، وكان يشك في كل الرجال حوله، حتى شركائه في التجارة، فأراد أن يطمئن على ابنته وهو يعلم أنها في أمان مع خالد، وكان قد جهّز له مكافأة لا يمكن أن يرفضها، فذهب إليه واستقبله رجال الكبير، وأمّنوه إلى أن وصل إلى كبيرهم داخل المستشفى، فلما وصل إليه صُعق مما رآه.

****

وصل خالد إلى الكبير في المستشفى، وعندما دخل عليه وجده رجلًا كبيرًا مسؤولًا في الدولة، ولأن خالد في الأصل ضابط شرطة فهو يعرفه، ولكن أبدًا لم تُثر الشكوك حوله لا من قريب ولا من بعيد، دخل عليه وسلّم عليه، وأشاد به الكبير كثيرًا وأظهر إعجابه به بقوته ومهارته، قائلًا بصوت أنهكه المرض وهرم السن:

حمد الله على السلامة يا خالد.

. الله يسلمك يا كبيرنا، يعني والله شرف عمري ما كنت أحلم بيه إني أقف قدام حضرتك كده، مع إن كان نفسي أقابل حضرتك وانت في صحة أفضل من كده، بس أنا تحت أمر حضرتك، وألف سلامة عليك.

لو كنت في صحة أفضل من كده مكنتش هتشوفني.

أمر الكبير رجاله بالمغادرة من الغرفة وتركه منفردًا بخالد في الغرفة، مما أثار الفضول في قلب رجال الكبير، وأثار الحيرة في قلب خالد، فقاطع الكبير كل هذه الأفكار قائلًا:

إنت عارف يا خالد أنا جايبك هنا النهارده ليه؟

ـ خدام معاليك يا كبير، مش مهم أعرف، أنا رهن إشارتك.

أنا متابعك من زمان يا خالد، وعارف قصة حياتك، وكمان عارف الضابط اللي قتل أهلك.

هنا همَّ خالد واقفًا مذهولًا مما سمع، فهذا الرجل بتلك الهيبة لا يمكن أبدًا أن يهذي أو أن يكذب، لم يكد يصدق أذنيه مما سمع، أخيرًا ستبرد ناره ويأخذ بثأره، ويريّح والديه في تربتيهما، أظهر خالد إلى الكبير أنه مشتاق للثأر ومتأهب لتلك اللحظة التي سينتقم فيها لوالديه، قائلًا:

ـ حضرتك بتتكلم جد يا فندم؟ أقسم بالله أنا تعبت من كل شوية حد يديني أمل على الفاضي.

أظهر الكبير غضبه من كلام خالد، ولكنه لمرضه لم يستطع رفع صوته كثيرًا، ولكنه غضب في وجهه، قائلًا:

إنت عارف إنت بتكلم مين عشان تقول الكلام ده؟

ـ أنا آسف معاليك والله يا باشا، بس من الفرحة والصدمة مش عارف أنا بقول إيه.

هبعت لك صورته وعنوانه على تليفونك، بس ده ليه مقابل.

ـ خدام تحت رجليك العمر كله.

لأ، أنا مش عايزك تحت رجلي أنا، أنا عايزك تحمي بنتي.

ـ حضرتك وبنت معاليك في كفّة، وعمري كله في الهوا مقابل سلامتكم، بس أبوس إيد سعادتك لا يمني على الضابط..

بُص يا خالد، أنا هديك كل اللي إنت عايزه، وقبل ما تشتغل معايا كمان هخليك تروح تاخد حقك، بس اسمعني كويس يا ابني.

هنا بدأت نبرة القوة والأمر، التي كانت دائمًا ملازمة للكبير في كل كلامه مع كل البشر، مهما كان مركزه ومهما كانت جنسيته ومهما كان وضعه، تتغير إلى نبرة استعطاف ورجاء، استعطاف أب لرحمة شاب متأملًا في قوة شبيبته أن يحمي ابنته بعد وفاته، قائلًا:

بُص يا ابني، أنا راجل خلاص على أعتاب الموت، وما فاضلش في عمري كتير، إنما عملت في حياتي كتير، وكتير أوي كمان، وعارف كمان إن يمكن مليش رحمة من ربنا، بس كل اللي طالبه هو رحمة منك.

ـ مني أنا؟ إزاي؟

أيوه، أنا عايز أجوزك بنتي الوحيدة، وهكتب لك كل ثروتي وكل ما أملك.

ـ ليا أنا؟ طب ليه؟

أيوه، ليك يا ابني، أنا خايف ربنا يعاقبني في بنتي، كل اللي طالبه منك إنك تحميها وتحافظ عليها.

ـ واشمعنى أنا سيادتك؟ حضرتك عندك رجالة تسد عين الشمس.

كل اللي إنت شايفهم دول لحم كتافهم من خيري، ومع ذلك مستنيين اللحظة اللي أموت فيها عشان ياخدوا مكاني وهيأذوا بنتي، أنا عارف.

ـ وإيه اللي يخلي معاليك متأكد كده؟

أنا عملت كده مع اللي قبلي، وعشان كده مش واثق في حد من اللي برّه دول.

- واشمعنى وثقت فيا أنا؟ ما هو يمكن أكون زيهم.

لأ، إنت مش زيهم، إنت دخلت الكار ده عشان ليك هدف معين، وأنا هحققهولك، وهديك فلوس مكنتش تحلم بيها، مع إني عارف إن الفلوس مش وسيلة إغراء بالنسبة ليك، ولما تتجوز بنتي، أنا عارف إنك راجل مستحيل هتخلي حد يمسّ شعرة منها.

- طب وهي عارفة كده ولا ده قرار من معاليك؟

أخذه الغرور مرة أخرى، وبدأت نبرته تميل إلى الأمر مرة ثانية، قائلًا بصوت منهك من المرض، ولكنه مصر على التكبر والاستعلاء والقوة:

أنا بأمر وبس، وكله ينفذ، أنا محدّش يكسر لي كلمة.

نظر إليه خالد نظرة تشبه الاستهزاء برجل كان يستعطفه لتوه، ويعلم أنه قد كُسرت شوكته، وأنه لم يبقَ له إلا أيام، بل يمكن أن تكون ساعات أو لحظات على كل تلك الهيبة والعظمة، قائلًا:

- أولًا، ده كان زمان لما كنت لسه بهيبتك، دلوقتي حضرتك لسه قايل إن كله مستني وقعتك، ثانيًا، تحكم على رجالتك بس، إنما أنا وبنتك مش من رجالتك، ومع ذلك أنا هنفذلك طلبك في مقابل إنك تنفذ اللي اتفقنا عليه، بس مفيش جواز، أوعدك وعد شرف إني هحميها وأحافظ عليها.

نظر إليه متوسلًا إياه أن ينفذ وعده ويلتزم بكلمته له، ثم أشار بإصبعه الذي خذله أيضًا، ولم يعد ينفّذ أوامره بالشكل المطلوب، أشار إلى ظرف كان على منضدة بالغرفة، قائلًا:

الظرف اللي هناك ده فيه كل اللي إنت عايزه.

أسرع إليه خالد بلهفة، فتح الظرف، وجد فيه جميع التفاصيل التي يريدها، فأمسك به وأطال النظر إليه، فقال الكبير:

خد بالك من نفسك يا ابني، وأوعى تخلّف وعدك معايا بخصوص بنتي.

. خدامك يا كبير، خدامك العمر كله، بس هستأذن معاليك بقى، عرّفني على الآنسة عشان أأمنها.

أمر ببعض رجاله، فجاءوه وأمرهم أن يوصلوا خالد إلى ابنته، ويكون هو قائد الحرس الخاص بها، وهو المسؤول عن حمايتها وتأمينها.

****

كانت وعد ما زالت عند أبو سليم، وقد قويت العلاقة بينها وبين ابنة أبو سليم، وكانت دائمًا يتملكها الاستغراب من قلق وعد الشديد على حبيبها خالد، وكانت دائمًا تطمئن عليه، دائمًا ما تجلس مع أبو سليم منفردين كثيرًا، مما أثار فضول ابنة أبو سليم عمّا يدور بينهما، ولمَ كل هذه المبالغة في المشاعر، لابد أن هناك شيئًا لم تعرفه هي.

****

حارس جديد

ظل خالد ملازمًا لسندس ابنة الكبير، ويقوم بحمايتها، وحاول التقرب منها وصداقتها ليقوم بمهمته الأساسية، فهو لم ينسَ أبدًا أنه ضابط شرطة ومكلف بحماية البلد وأبنائها من أمثال هؤلاء المجرمين، فحاول التقرب منها ليجمع أكبر قدر من المعلومات والأدلة التي تدين أباها وشركائه، ولم يكن لسندس أي عمل غير أنها تخرج دائمًا للتنزه والفسح والرحلات، بين سفر للشواطئ حول البلدان، وبين الأندية الترفيهية، وبين حضور أفلام السينما ومشاهدة مباريات للألعاب الرياضية، ومتابعة عروض الأزياء، وشراء الحيوانات الأليفة، والذهاب للتسوق.

وكان مما أثار فضوله واستغرابه أنها كانت قليلة الزيارة لأبيها جدًا، ولم تهتم به، وتعيش حياتها وكأن شيئًا لم يكن.

وذات يوم كانت في أحد المولات تقوم بشراء ملابس جديدة، وكان ملازمًا لها كظلها دائمًا، وعندما دخلت الغرفة لتجرب الملابس الجديدة، كانت الصدمة.

****

وقف الريس محسن نائب الكبير وفتحي أخوه بجوار الكبير، وهو على سريره بعدما اشتد به المرض، ويبدو أنه في لحظاته الأخيرة، وكان الريس محسن هو الوحيد الذي يتمسّك بإخلاصه للكبير، حيث أنهما أصدقاء العمر وشركاء التجارة وبدأوها سويًا، واليوم سيودع خليله، وقف الريس محسن متأثرًا جدًا لما حل بصاحبه، وهو يهون عليه، بينما فتحي لم يبالِ بشيء وكأنه ينتظر اللحظة التي سيفارق فيها الحياة، ولمَ لا، فبعد موت

الكبير سيكون أخوه هو الكبير بعده، وسيكون هو نائبه، وتحلو له الحياة أكثر وأكثر.

كثيرًا ما كان يريد أن يعمل في تجارة بعض الأسلحة المحرمة والمخدرات سريعة القتل، ولكن كان الكبير يمنعه من ذلك، وعلى الرغم من أنه تاجر مخدرات وسلاح، إلا أنه ما زال يتمتع ببعض الأخلاق التي تجعله يسعى لربح الأموال، ولكن دون تدمير أحد.

كانت وجهة نظره أنه يبيع لهم ما يكيف عقولهم ويعدل مزاجهم، لا ما يدمرهم ويقتلهم، ولكن في الحقيقة الأمر سواء في كلتا الحالتين، هكذا قتل، وهكذا قتل، ولكن ما يشفع له، ولربما بسببه يحظى بذرات من الرحمة، أنه في الحالة الأولى هناك فرصة وبصيص من الأمل أن يمكن إنقاذ المريض أو المدمن، ويمكن علاجه، أما في الحالة الثانية فهي القاضية.

أخذت الكبير نوبات من ضيق النفس والكحة الشديدة، بينما صديقه المخلص محسن بجواره يهون عليه، ويبكي لما حل بصاحبه، فهو يدري أنها لحظات الوداع، بينما خرج فتحي يتحدث في الهاتف بصوت منخفض، وتعلو وجهه علامات السرور لاقتراب نهاية الكبير، قائلًا:

خلاص هانت، كلها لحظات والدنيا هتروق، لا لا متشيلش هم حاجة، أنا مظبط كل حاجة وعامل حسابي، أعمل بس اللي قولتلك عليه وخلاص كده بقت السكة مفتوحة قدامنا.

****

دخل خالد على سندس غرفة البروفة التي تجرب فيها ملابسها، بعدما سمعها تتحدث مع أحدهم وتعطيه معلومات هامة عن تجارة أبيها تدينه هو ورفقاؤه، فدخل عليها ونظر في عينيها، فتصلّبت في مكانها خائفة، فقد كشف أمرها، فأخذ منها الهاتف ببطء دون إصدار أي صوت، ثم نظر في الهاتف، فإذا به رقم خاص مميز، فوضع الهاتف على أذنه، فسمع شخصًا يقول:

_ خلاص كل حاجة بقت تمام، ومعدش غير خيوط صغيرة ونمسك الكل، أنا مقدر يا آنسة اللي إنتي بتعمليه وبتضحي بوالدك عشان مصلحة البلد، اللي إنتي بتعمليه ده عمل وطني إنساني لا يمكن نسيانه أبدًا، وهيخلد اسمك مع العظماء.

أغلق الهاتف في وجه المتحدث بعدما علم من صوته أنه غير مصري مع عروبته، وأخذا يتبادلان النظرات دون أن يتحدث أحد، فهي خائفة مما حدث، فقد كشف أمرها لأوفى رجال أبيها، وهو لم يرد أن يخبرها بحقيقته حتى يتأكد من ولائها وصحة ما سمع، فلربما يكون هذا اختبار له أو فخ قد نُصب إليه.

أغلق الهاتف ووضعه في جيبه، وأمسكها من ذراعها، ودفعها أمامه، قائلًا:

ـ امشي قدامي.

لم تنطق بأي كلمة وسارت حتى ركبت السيارة، فانطلق بها إلى مكان خالٍ يشبه جبل المقطم عندنا في مصر، إلا أنه كان يطل على نهر وبه بعض الزروع والخضرة، فعم الصمت لحظات ليست قليلة، ثم وجه الحديث إليها، قائلًا:

ـ ممكن أعرف إيه اللي أنا سمعته ده؟

لم تجبه، وأطالت الصمت، فأعاد عليها السؤال، وأيضًا لم تجبه، حتى أدار وجهه إليها بغضب، قائلًا بصوت مرتفع:

ـ ردي عليا.

_ اضطربت خائفة منه لما رأت من غضب في عينيه يكاد يحرقها، ثم استجمعت قواها، قائلة:

_ اللي إنت سمعته هو اللي إنت سمعته.

ـ يعني إيه؟

يعني أيوه، أنا ببلغ عنكم كلكم، وإن شاء الله أنا هكون السبب في نهايتكم كلكم.

ـ إحنا مين! إنتي عارفة بتتكلمي عن مين؟ ده إحنا كبيرنا أبوكي، يعني أول واحد هيطوله الأذى هو أبوكي، أبوكي اللي بيعمل المستحيل عشان يحميكي، تعملي فيه كده؟ أبوكي اللي جابني مخصوص من آخر الدنيا عشان أحميكي، واتكسر قدامي، وعمل المستحيل يترجاني أوافق أتجوزك عشان أحميكي، تعملي فيه كده؟ إنتي إيه، مفيش في قلبك رحمة؟ مش إنسانة، ده لو حد غريب هيصعب عليكي.

فانهمرت بالبكاء، قائلة بغضب يخالطه حرقة الندم والشعور بالذنب المستمر:

_ عارفة، عارفة إن بابا هو أول واحد هيتأذى، بس عارفة كمان إنه أول واحد مسؤول عن أذية ناس كتير أوي في كل حتة في العالم، عارفة إن بابا هو كبيركم، وعشان كده لازم أول واحد يتحاسب، شوفوا كام واحد أذيتوه وقتلتوه، شوفوا كام عيلة دمرتوها وحرقتوا قلبهم على عيالهم، شوفوا كام أم اترملت، وكام طفل اتأثر من الشر اللي بتعملوه، سواء من السلاح

أو المخدرات، وجاي دلوقتي تكلمني عن الرحمة والإنسانية؟ وإنتوا كانت فين الرحمة في قلوبكم لما عملتوا كده في الناس دي كلها؟ كانت فين إنسانيتكم لما أذيتوا الناس دي كلها؟

حاولت التحكم في دموعها والتماسك أمامه، وإظهار بعض من قواها التي خارت من الخوف منه، قائلة:

_ على فكرة، مش خايفة منك ولا منكم كلكم، اعمل اللي إنت عايزه، عايز تعرف بابا، عرفه، عايز تعمل فيا اللي إنت عايزه، اعمله، ولا أقولك اقتلني، ما هو إنت أكيد معاك أمر بالتخلص من أي حد ممكن يهددكم أو يكون خطر عليكم، زي ما قتلتوا قبل كده كتير وكتير، بس لآخر نفس في عمري مش هتراجع عن اللي بعمله، وأنا اللي هفضحكم وأخلص الناس من أذاكم.

همّ ليرد عليها، فدق هاتفه، وإذا به الريس محسن الذي أخبره أن الكبير يلفظ أنفاسه الأخيرة، ويريد أن يرى ابنته، فأمره بالحضور حالًا، فتحرك بالسيارة متجهًا إليهم بالمستشفى.

****

دخل خالد ومعه سندس ابنة الكبير على أبيها، فأشار بعينيه أن يخرج الجميع ويتركوه مع خالد وابنته فقط، فخرج الجميع وظل خالد مع الكبير وابنته، وأخذت الابنة تنظر إلى أبيها وبداخلها صراع قوي لم ينتصر منهما أحد على الآخر، هل تحتضن أباها وتودعه وداعًا يليق بأب وابنته، أم تقسى عليه حتى وهو في آخر لحظاته في الدنيا متمسكةً بمبادئها، حتى قاطعهم خالد موجهًا الحديث إليها قائلًا:

. يعني حتى وهو بيطلع في الروح مش صعبان عليكي! مش قادرة تنسي الخسة والندالة اللي انتي فيها؟!

نظرت إليه نظرات حيرة، ثم أعادت النظر إلى أبيها حتى قال أبوها بصوت لم يكد يُسمع:

. نفسي في آخر حضن منك يا بنتي قبل ما أموت، وعلى فكرة أنا مش زعلان منك في اللي بتعمليه، وكان نفسي تعمليه من بدري شوية عشان آخد عقابي في الدنيا قبل ما أموت، لأن عقاب ربنا أكيد هيكون شديد أوي.

اضطرب الاثنان لما علما أن أباها كان يدري بكل شيء، ووقفا وقد تصلبت أرجلهما، حتى أكمل قائلًا:

. وعلشان كده يا خالد اخترتك، لأنك الوحيد اللي هتحميها، إنما لو حد عرف منهم بره هيخلصوا عليها.

فتسلل الخوف إلى قلب خالد وخاف أن يكون قد كُشف أمره، فطمأنه الكبير قائلًا:

. ومتقلقش محدش تاني يعرف غيري، بس حرّص من صحابك ومن اللي حواليك.

أخذ يوصي خالد على ابنته وعلى نفسه، ثم فارق الحياة، حينها ارتمت ابنته في أحضانه باكية وهي تصرخ، فدخل كل من بالخارج، ومنهم من حزن من قلبه على فراقه، ومنهم من ادعى الحزن حتى يحافظ على مصالحه الشخصية، وبدأ الكل يتجهز لمراسم الدفن والعزاء.

****

صديق جديد

تمت تجهيزات الدفن وذهبوا جميعًا لدفن كبيرهم، وما زال ممثلو الحزن في تمثيلهم، فلا بأس من النفاق ليومٍ آخر، فهذه هي آخر أيام الاستقرار، أما ما سيأتي بعد ذلك فلا يهم، ولكن من يدري؟!

تمت مراسم الدفن ووقف الجميع على قبره مودعين إياه، ووقفت ابنته على قبره تودعه وحارسها الشخصي ملازمها، فمال عليها برأسه قائلًا:

ـ البقاء لله.

نظرت إليه دون رد، فاتبع قائلًا:

ـ ماتقلقيش، محدش هيعرف حاجة باللي حصل، بس لازم نقعد مع بعض في أقرب وقت، وإلا كل اللي عملتيه هيروح في الهوا.

أومأت برأسها بالموافقة، وانصرف كلٌّ إلى مصالحه حتى جاء العزاء.

بعد انتهاء العزاء جلس خالد مع سندس، فأخبرها بأمره وبالمهمة التي هو فيها، واتفقا سويًا على مساعدة بعضهما في سرية تامة حتى يتمكنا من القضاء على تلك العصابة، ومما زاد حماسها وجرأتها على فعل ذلك أن أباها قد توفى، فلم تأبه بأي أحد بعد ذلك.

****

ظل خالد ملازمًا لابنة الكبير، بينما تولى الريس محسن مهمة الإدارة بعد وفاة صديقه، ولكن بين اعتراض البعض عليه وموافقة البعض له، مما أثار الهمج في إدارة تجارتهم، وانقسم الناس إلى معارض ومؤيد له، حتى اتفقوا جميعًا على إقامة اجتماع لتحديد الكبير لهم، وكان فتحي أخو

محسن من المعارضين ولكنه لم يُظهر ذلك لأخيه، لأنه أراد أن يتاجر فيما كان قد منعه كبيرهم سابقًا، وسار الكبير محسن على نهج صديقه، وذلك كان من أهم أسباب الاختلاف بينهم.

****

كان سيكا يعمل في المكتبة كما هو، وزادت غلاوته يومًا بعد يوم عند صاحب المكتبة، لما رأى منه من أمانة وأخلاق وحفاظ على المكان، وذات يوم جاء رجل كبير في السن أراد أن يشتري من المكتبة جريدة إصدار اليوم، فالأشخاص الكبيرة في السن ليس لها سعة صدر للتعامل مع السوشيال ميديا، فكانوا يتابعون الأخبار عن طريق الجرنال الذي تعودوا عليه منذ زمانهم قبل ظهور السوشيال ميديا، فدخل المكتبة وسلم على سيكا قائلًا:

ـ إزيك يا ابني، والنبي هات كرسي لعمك توفيق يقعد، لحسن ضهري اتقطم من المشي.

لم ينتبه له سيكا جيدًا، فأعاد الرجل كلامه قائلًا:

ـ يا ابني خد بإيدي، قعدني يا ابني أنا راجل كبير قد أبوك، ولا يكون أبوك اسمه توفيق كمان على اسمي؟!

هنا انتبه سيكا جيدًا وبدأ في الارتباك، فأشار إليه الرجل بعينه فهدأ قائلًا:

ـ آه آه، اتفضل يا حاج.

أجلسه على كرسي ثم تابع كلامه:

ـ أجيب لحضرتك إيه يا حاج؟

ـ هاتلي جرنال اليوم يا ابني، أما نشوف الدنيا فيها إيه؟

توجه سيكا إلى رف الجرائد وسحب آخر نسخة من الأسفل، وأعطاها للرجل، ثم أحضر له كوب مياه بارد، فشرب الرجل ثم انصرف. بعدها ابتسم سيكا وشعر أنه قدم شيئًا لوطنه الحبيب.

****

أُقيم الاجتماع في مصر حسب الاتفاق بينهم، بينما وصلت المعلومات للإدارة في مصر بأنه سوف يكون هناك تسليم شحنة كبيرة من السلاح في نفس المبنى الذي سيُقام فيه الاجتماع، محفوظة في أساس منزل، مما جعل علي بيه يصر على أن يتولى المهمة بنفسه ويلقي القبض على العصابة متلبسين، بينما الرائد عمر الذي هو خالد أكد أنه لا يوجد أي اتفاق على تسليم أي شحنات ولا أي بضاعة هناك، وأن ما وصل إليهم بلاغ كاذب، وأكد خالد على ضرورة الابتعاد عنهم وتأمينهم حتى لا يلفتوا انتباههم وتُكشف أمر المهمة.

لكن علي بيه أصر على تنفيذ العملية، ولما جاء يوم الاجتماع، حضر الريس محسن وكل كبار التجار، ولم يكن بينهم لا الريس كارم ولا أبو سليم ولا فتحي أخو الريس محسن، وكذلك خالد لأنه كان مشغولًا بتأمين سندس ابنة الكبير الراحل.

****

حادثة

جلس خالد مع سندس بعدما أخبرها بحقيقته، وهي أخبرته أنها مجندة من قبل الشرطة القطرية حيث إن والدها كان يقيم في قطر، وهي لم تكن تعلم شيئًا عن تجارة والدها حتى أطلعتها الشرطة القطرية وأيقنت أن والدها هو السبب في قتل كل أولئك الشباب المدمنين، ومن بينهم أخوها الذي مات بسبب جرعة زائدة من المخدرات التي يتاجر فيها والدها. وكان أبوها هو السبب في موت أخيها، وكانت تحبه حبًا جمًا، لذا وافقت الشرطة القطرية على مساعدتهم في الإيقاع بأبيها وكل رجاله.

وأخذا يتحدثان عن مصير ذلك الاجتماع، وعن ماذا سيسفر، وكيف ستصير الأمور، وما خبر تلك الإخبارية التي وصلت القوات المصرية بأن هناك شحنة سلاح سيتم تسليمها في ذلك المكان ونفس الميعاد، ولماذا أصر علي بيه على تولي مسؤولية تلك الإخبارية، ولماذا فتحي أخو الريس محسن لم يحضر معهم الاجتماع، كل هذه أسئلة لم يجدا لها أي إجابة.

****

اجتمع كل رجال الأعمال المذكورين في شركة من شركات أحدهم في الطابق الثاني من مبنى ضخم في أحد أحياء العاصمة، كان الطابق الأرضي عبارة عن كراج سيارات كبير، دخلت فيه سيارة كبيرة محملة بأثاث منزل وبدأ العمال في تنزيل تلك الأثاثات، وحينها هجمت قوات الشرطة وقامت بتفتيشهم ووجدوا الأسلحة فألقوا القبض عليهم، ولكن كان هناك رجل في المبنى المقابل يحمل قناصًا فقام بإطلاق النار العشوائي،

فقام علي بيه بإطلاق النار على بعض الرجال الذين تم القبض عليهم، وبدأ إطلاق النار بشكل عشوائي من مجهولين وتم الرد عليه من قوات الشرطة.

تسلل علي بيه إلى الطابق الثاني ووجد أولئك الرجال داخل الاجتماع، فأمرهم بتسليم أنفسهم، إلا أنهم بدأوا بإطلاق النار عليه، وتعامل معهم وتمكن من قتلهم جميعًا، وهذا ما قاله لقياداته حينما سألوه عن سبب قتلهم، فهم كانوا يريدونهم أحياء حتى يتمكنوا من جمع المعلومات منهم، ولم يكن لدى قوات الشرطة خيار إلا أن يلقوا القبض على التجار الأصغر فالأصغر اعتمادًا على الأدلة التي جمعها خالد طوال المهمة، وبدأت كل الأسرار تتكشف شيئًا فشيئًا، ولكن ما زال هناك شيء مجهول.

****

بعد ما سقط رؤوس هذه العصابة، لم يجد الرائد عمر مجالًا إلا أن يعود إلى مصر، وقام بالقبض على الريس كارم، بينما هرب جابر وبعض الرجال، وتم القبض على باقي أفراد التشكيل من فصيلة الريس كارم، وتمت تبرئة سيكا لعدم وجود أدلة كافية لإدانته، وساعده في ذلك الرائد عمر، ردًّا لجميله في مساعدته بنقل المعلومات للقيادات المصرية.

وقامت الشرطة المصرية بإرسال الرائد عمر صلاح مع بعض القوات اللبنانية لإلقاء القبض على أبو سليم، فطلب الرائد عمر من القيادات اللبنانية الدخول لأبو سليم بمفرده، لتفادي قتل أي من أبنائه، ومراعاة للعِشرة التي بينهم، ووفاءً للوعد الذي قطعه على نفسه بأنه سيحمي أبناءه.

دخل الرائد عمر بمفرده لأبو سليم وهو رافع سلاحه بالسلام، مرتديًا قناع الشرطة، فوجده جالسًا على كرسيه في صالون القصر، قائلًا:

ـ أنا مش جاي أأذي حد يا أبو سليم، خلاص اللعبة اتكشفت، وكل حاجة انتهت، ياريت تسلم نفسك بهدوء، وصدقني أنا هضمن لك إن محدش يتأذى، أنا خالد يا أبو سليم.

وقف أمامه الرائد عمر، بينما وجد أبو سليم قد وضع سلاحه بجواره، ورد قائلًا:

زي ما كنت بشوفه بالضبط، نهايتي.

ـ كلنا عارفين إن لكل بداية نهاية يا أبو سليم.

وأنا مش معترض، ومش عايز حاجة من الدنيا غير إنك ما تأذيش حد من عيالي، وتاخد بالك منهم زي ما وعدتني.

ـ اعتبره حصل يا أبو سليم، وأنا عشان كده ما رضيتش أدخل حد من الشرطة ينتهك حرمة بيتك، البيت اللي أكلت فيه عيش وملح، وقضيت فيه أيام عمري ما هنساها.

سامحني يا خالد.

ـ على إيه؟

الأمانة اللي عندي ما قدرتش أصونها.

فزع الرائد عمر قائلًا:

ـ قصدك إيه؟

اقعد وهفهمك كل حاجة، تعرف فتحي أخو محسن؟

- آه طبعًا أعرفه، ده هو الوحيد اللي مش موجود مع الناس اللي كانوا في الاجتماع.

علشان كان عارف كل حاجة، وهو اللي بعت شحنة السلاح للمكان اللي كان فيه الاجتماع، وبلّغ عنهم عشان يخلص منهم.

- وهو إيه مصلحته؟

عشان يخلي له الجو، ويحِل هو محل الكبير.

- بس ده كان أخوه محسن في وسطهم!!!

ده أكتر واحد كان عايز يخلص منه، لأنه كان الأقرب لمكان الكبير، الطمع عمى عينه وملى قلبه، واتخلص منهم، وكان عايز يخلص منك إنت كمان، بس لما ماكنتش موجود في العملية حبّ يلاعبك بطريقته.

- قصدك إيه؟

أخد الآنسة وعد، وساب لك الرقم ده عشان تكلمه، خد بالك فيه خاين في وسطكم يا خالد.

أعطاه ورقة مكتوب فيها رقم هاتف، فأخذ الرائد عمر الورقة، وفي تلك اللحظة وصل سليم ابن أبو سليم وأخته، فقام النقيب عمر وسلّم عليه قائلًا:

- متخافش يا سليم، محدش هيتأذى، إنت راجل ومش صغير.

هتاخد بابا؟

- ماتقلقش، بابا مش هيجراله حاجة.

فقام باحتضانه ليطمئنه، وفي هذه اللحظة .....؟!

سمعت القوات من الخارج صوتًا لإطلاق رصاص داخل القصر، فقامت باقتحام القصر، فوجدت أن أبو سليم قام بالانتحار عن طريق إطلاق النار من سلاحه في رأسه، ومات في لحظتها، فصُعق ابنه سليم وأخذ يبكي بكاءً حارًا ويصرخ، ونظر إلى الرائد عمر نظرات توعّد، ثم انصرف عنه الرائد عمر.

وبعدما عاد الرائد عمر من مهمته إلى مصر، قام بالاتصال على الرقم الذي تركه فتحي، فرد عليه فتحي على الهاتف، فقام بتهديده أنه إذا قام بالتبليغ عنه سيقتل حبيبته، وطلب منه عدة مطالب، منها الإفراج عن واحد من رجاله المهمين، وبعض الملفات من الداخلية التي تدينه وتلف حبل المشنقة حول رقبته. فأراد الرائد عمر يلاعبه وأخبر الإدارة بذلك، وكان يريد أن ينفذ مطالبه ويفدي حبيبته، ومن ثم يوقعه، فرفضت القيادة ذلك.

- يا فندم خليني أنفذ مطالبه ونفدي وعد، وساعتها نقدر نقبض عليه.

لا، معنديش استعداد أغامر بحاجة زي دي عشانها.

- يا فندم، حضرتك معندكش ثقة فيا ولا إيه؟ إنت عارف حضرتك أنا عملت إيه من البداية، وتعبت قد إيه في القضية دي، القضية دي قضيتي من الأول، وحضرتك كمان عارف إن وعد مش تبعهم وإنها متورطة معاهم، وواجب علينا حمايتها.

غضب اللواء قائلًا:

عمر، الموضوع انتهى، مش هغامر أنا بحاجة زي كده، مش كل يوم بنقدر نمسكه، ومفيش ملفات هتخرج من الداخلية، وهو هنجيبه بطريقتنا، الموضوع انتهى يا سيادة الرائد، ياريت تتحكم في مشاعرك أكتر من كده،

إنت ظابط شرطة مش تاجر مخدرات، أوعى تنسى إنت إيه وبتعمل إيه أبدًا، اتفضل شوف شغلك.

غادر الرائد عمر حزينًا، حتى وصل إلى مكتبه، وجد علي بيه في انتظاره، ولما استفسر عن حزنه وأخبره بما تم مع اللواء، قرر علي بيه مساعدته من باب الصداقة وتعاطفًا معه لما رأى حبه الشديد لوعد.

يا عم وبعدين، إنت خايف من إيه؟ مش إنت عايز تنقذ حبيبتك وتكمل مهمتك؟ ماتقلقش يا سيدي، أنا في ضهرك.

. أيوه، بس يا علي بيه، حاجة زي كده مش سهلة، وأكيد حضرتك عارف عواقبها.

وأكيد برده يا عمر إنت عارف النجاح فيها هيبقى عامل إزاي، وبعدين النجاح لغاية كده طعمه ماسخ، لسه مكملتش مهمتك، ولا هما يخلوك تعمل اللي هما عايزينه وتيجي عند مصلحتك إنت وتقف.

. يعني حضرتك شايف كده؟

يا عمر، إنت أخويا الصغير، وبعدين ينفع تتخلى عن حبيبتك بعد كل الوعود دي؟ أنا لو مكانك، والله لو هسيب الداخلية بس ماسيبش حبيبتي أبدًا.

. خلاص استعنا بالله، بس حضرتك معايا؟

في ضهرك خطوة بخطوة.

****

النهاية

وافق الرائد عمر على اقتراح علي بيه وبدأوا في وضع خطة وتنفيذها حتى قاموا بتهريب هذا الشخص الذي يريده فتحي، وقاموا بسرقة الملفات التي يريدها، وحينما جاء اليوم الذي سيتم فيه المبادلة وتسليم الطلبات لفتحي حتى يسلمهم وعد، وأثناء تنفيذ العملية قامت قوات الشرطة بالاقتحام وتم تبادل إطلاق النار بينهم، وتفاجأ علي بيه لما رأى، وحاول الجميع الهرب، بينما قام فتحي بأخذ وعد معه كرهينة مرة أخرى ليتمكن من الهرب من هذا المأزق، فرآه الرائد عمر وقطع طريقه، فأشهر فتحي السلاح ووضعه على رأس وعد وهدد الرائد عمر قائلًا:

خطوة كمان وهفرتكلك دماغها، ارمي سلاحك على الأرض يا شاطر، أنت مضحوك عليك، فيه حاجات كتير متعرفهاش، ومتأكد إنك لو عرفتها كل حاجة هتتغير.

ـ حاجات إيه؟

ارمي سلاحك الأول.

فألقى الرائد عمر سلاحه ورفع يده قائلًا:

ـ متخافيش يا حبيبتي، أنا جنبك، اهدى يا فتحي وخلينا نتفاهم.

تفاهم إيه، إنت خليت فيها تفاهم؟

ـ اهدى يا فتحي وهعملك اللي إنت عايزه.

بتلاعبني يا عمر بيه، ده أنا فتحي، وأكيد إنت عرفت مين هو فتحي، وبعدين أنا مش هقع لوحدي، لازم تعرف كل حاجة عشان متبقاش على عماك كده.

وفي هذه اللحظة قام علي بيه بإطلاق النار على رأس فتحي وهو خلف النقيب عمر، فمات في لحظته، وأنقذت وعد. فهرولت وعد وذهبت إلى الرائد عمر الذي هو بالنسبة لها مازال خالد، فاحتضنته لتطمئن به كما تفعل دائمًا، ولكنها كانت في حيرة وكأن عقلها توقف عن التفكير، من هو الرائد عمر؟ ولمَ ارتدى هذا الزي؟ ولكن ليس بيدها شيء إلا أن تطمئن بالشخص الذي مازال هو الأمان الوحيد بالنسبة لها، ثم ظهر علي بيه من خلف الرائد عمر قائلًا:

الحمد لله، ماتقلقش يا عمر أنا معاك، كلب وراح.

فنظر إليه الرائد عمر قائلًا:

ـ متشكر جدًا يا علي بيه.

لا على إيه يا عمر، أنا قولتلك إنت أخويا الصغير.

ـ شرف ليا يا باشا، ممكن بس بعد إذنك تديني السلاح اللي أنقذ حياتي وحياة حبيبتي.

فأعطاه علي بيه السلاح، فأخذه الرائد عمر قائلًا:

ـ ليس كل ما تراه حقيقة، وليست كل الحقائق تراها، يعني مثلًا إنت قتلت فتحي عشان تنقذني وتنقذ حبيبتي؟!

طبعًا.

ـ لكن الحقيقة بقى، إنت عملت كده عشان تنقذ نفسك.

أنقذ نفسي؟!!! إنت بتقول إيه!!! أنقذ نفسي من إيه؟

- من حبل المشنقة.

إنت بتتكلم على إيه؟ مش فاهم؟

- باتكلم عن الخاين اللي وسطينا يا علي بيه، خلاص اللعبة كلها اتكشفت.

قصدك على إيه؟

- قصدي معاليك يا علي بيه.

قامت بعض من القوات في هذه اللحظة بأمر من اللواء بالقبض على علي بيه، فرد قائلًا:

فيه إيه يا فندم؟ أنا مش فاهم حاجة؟

رد الرائد عمر قائلًا:

- أنا هقولك، وهجيب لك القصة من أولها خالص.

وبدأ الرائد عمر يحكي له:

(لما قبضت عليا وحبستني عشان كنت بديك معلومات غير اللي إنت عايزها، وإنت كنت عايز تعرف أنا وصلت للكبير ولا لأ، وجت لك الأوامر إنك تهربني عشان أنا في مهمة رسمية، سيادتك بقى بلغت الكبير إني ضابط وفي مهمة عشان أوقعهم، فهو انتهز ده وكلفني بحماية بنته، اللي كانت بالمناسبة هي كمان مجندة من الشرطة القطرية عشان توقعهم، لكن إنت كان نفسك إنه يخلص مني، وعشان هو كان راجل عاقل وخلاص فاضل له في الدنيا قليل أوي قرر يستفيد مني ويأمني على بنته، لأن لو حد تاني عرف إنها بلغت عنهم هيقتلها، إنما أنا وهي بنعمل نفس الحاجة فهتبقى في أمان، ومات الكبير، وطبعًا هيبقى فيه حد مكانه، ولأن

إنت وفتحي طماعين قررتوا إنكم تبقوا إنتوا وبس اللي في المركب، واتفقتوا إنهم لما يبقوا في الاجتماع هيبعتلهم شحنة سلاح متبلغ عنها عشان معاليك تروح تقتحم ويبدأوا الاشتباك معاك، فتتعامل معاهم وتقتلهم كلهم، وعملت المذبحة وخلصت منهم كلهم، وكان نفسك تخلص مني أنا كمان، بس عشان الحظ السيئ أنا مكنتش موجود في العملية، فقررت تلاعبني بطريقة قذرة، وأخدت وعد وبدأت تساومني عليها، وبعد ما القيادة رفضت تنفذ كلام فتحي، حبيت إنك تساعدني، مهو أنا أخوك الصغير، لكن في الحقيقة ده كان اتفاقك مع فتحي عشان تنفذوا مصالحكم، وعملت الموضوع في سرية على أساس إننا هنسلم فتحي، والغاية تبرر الوسيلة، لكن في الحقيقة كنت ناوي تسلمني أنا لفتحي، وكده كده هتخلص مني وسرك هيموت معايا، وأنا اللي هشيل الليلة، وبما إني هكون مت فخلاص خلصت الحكاية، لكن حصل اللي مكنتش تتوقعه خالص، وهو هجوم الشرطة، ولما لقيت خلاص اللعبة خلصت وانتهت وخلاص فتحي وقع، فهتيجي رجلك معاه، فقلت تخلص منه هو، وبموته سرك هيموت معاه، وأهو أهون إنك تكون نفذت مهمة بدون إذن عن إنك تكون إنت فرد مهم وعضو من أعضاء العصابة، لكن على مين؟ الشكوك كانت حواليك من أول لما قتلت الناس اللي في الاجتماع بدون سبب واضح، وقبولك مساعدتي وتعمل حاجة خطيرة زي كده، إنت مش صغير عشان تغلط غلطة زي دي، لكن كنت حابب تلبسني الليلة، لكن دايمًا اللي بيستنصح نفسه ومستغبي اللي حواليه بيبقى أغبى بني آدم في الدنيا، وسهل إنك توقعه، مش قولتلك يا باشا، ليس كل ما تراه حقيقة، وليست كل الحقائق تراها).

صوّب سلاحه نحو رأس علي بيه قائلًا:

.كده بقى أقدر أقولك إنها فعلًا خلاص خلصت اللعبة يا علي بيه.

تم إلقاء القبض على علي بيه ليتم محاكمته على ما فعل، بينما عاد الرائد عمر إلى مكتبه ومعه وعد، وأخذ يشرح لها كيف تمت كل تلك الأمور قائلًا:

.حمد الله على السلامة يا حبيبتي، أنا آسف على كل اللي حصل لك.

أنا مش فاهمة حاجة، إنت مين؟

فابتسم قائلًا:

.أنا حبيبك يا وعد، ولا أنا مش حبيبك ولا إيه؟

أنا اللي مش فاهماك والله، ومش فاهمة أنا إيه؟ ولا فين؟ ولا مين مع مين؟ ولا إيه اللي بيحصل؟

.طب اهدى وأنا هفهمك كل حاجة.

بدأ الرائد عمر يحكي مرة أخرى لوعد:

.(لما الريس كارم أخدك وسامح مقدرش يعملك حاجة، جه وبلغ عنك وعنهم عشان نخلصك منهم، لأنه مكنش فيه في إيده حاجة أكتر من كده، ساعتها عملنا خطة والشرطة كلفتني بالمهمة دي، وزرعتني وسط العصابة، وعشان أدخل وسطهم كنتِ إنتي الطريق الأقرب ليا عشان أعرف أدخل وسطهم، وعشان أوصلك إنتي كان برضه لازم عن طريق أقرب الناس ليكي، ومكنش قدامي أقرب من سيكا، وعشان أوصل لسيكا كان الموضوع سهل جدًا، ودخلت له عن طريق شغله، واتصاحبت عليه، وبعدين عليكي، بس إنتي كنتي مخبية عليا إنك شغالة معاهم، فكان لازم أعرف، وساعتها اجتهدت شوية، فكانت الناس اللي طالبة

المخدرات اللي كانوا في الإسكندرية، اللي في المرة اللي عرفت فيها إنك شغالة في المخدرات، كانوا تبعي، والكمين ده كمان كان بسببي أنا، وساعة العملية اللي اتصبت فيها أنا اللي بلغت عن الناس اللي هتحمينا، هما كده كده مجرمين، وأنا ضابط، وعشان نكون لوحدنا ونقدر نشتبك مع الشرطة، وأنا اللي سيبت لهم البضاعة عشان أقدر أحتك بالريس كارم، ساعتها فعلًا علي بيه مكانش يعرف إني ضابط، وأصرينا على كده عشان يبقى الموضوع طبيعي جدًا ونتفادى موضوع نقل الأخبار، لأن أكيد حد بحجم الريس كارم ليه عين عندنا في الداخلية، فكنا عايزين نوصله حاجة معينة، والحمد لله وصلناها، ولما روحنا إسكندرية وهربنا من هناك عن طريق أشرف صاحبي، ده يبقى زميلي النقيب ياسر معانا في العملية، والملازم أول إيهاب برضه، اللي هو يبقى مساعد علي بيه، برضه معانا في العملية، وهو اللي كان بيوصل اللي عايزين نوصله لعلي، يعني كل حاجة حصلت كان متخططلها، إلا حاجة واحدة بس هي اللي مش تبع الخطة).

إيه هي؟

نظر في عينها وأمسك بيدها قائلًا:

- إني حبيتك بجد يا وعد.

فنظرت إليه وعد نظرة تكذيب قائلة بابتسامة سخرية:

يا سلام، أمال ليه اتقبض على علي بيه؟ وإيه الكلام اللي إنت قولتهوله ده؟ وفين سامح؟

- للأسف سامح ملحقناهوش، سامح ده بقى كان صاحب الكباريه اللي قبلك، اللي إنتي مسكتي بعديه مكانه، الريس كارم حس منه بالغدر فقرر يخلص منه، ومسكتي إنتي، وده يا ستي للأسف كان فرد من أفراد

العصابة، بس الحمد لله مكانش يعرفني كويس، لأنه لو يعرفني كان زماننا دلوقتي أنا وإنتي سنويتنا اليومين دول، وعلي بيه زي ما إنتي سمعتي كان واحد منهم، فلازم ياخد عقابه.

طب إزاي محدش كشفك؟

ـ ما أنا قولتلك، كل حاجة كان معمول حسابها، يعني الكلام اللي كان بيدور في الداخلية إني مجرم وعايز آخد حقي منهم، وده اللي كان بيوصل لكارم

طب وحكاية أبوك وأمك اللي حكيتهالي، وإزاي كارم اتأكد من حاجة زي كده؟

ـ دي حكاية حقيقية فعلاً، فيه حادثة زي كده فعلاً تمت، بس محدش ضرب نار على أبوه وأمه، هما أثناء المطاردة عملوا حادثة وعربيتهم ولعت.

طب وإزاي كان كارم بيدور على الضابط اللي عمل كده؟

ـ أنا الضابط اللي عمل كده.

أنا مش فاهمة حاجة؟!

ابتسم عمر قائلاً:

ـ يا بنتي أنا الضابط اللي كان ماسك المأمورية دي، وأبوه وأمه ماتوا في حادثة طبيعية جدًا، ولكن كانت في نفس التوقيت، فاحنا استغلينا ده ولعبنا عليها، والحمد لله كسبنا اللعبة.

طب أنا إيه موقفي طيب؟ هتعملوا معايا إيه؟ إنت أكتر واحد عارف إنه كان غصب عني، وإني مظلومة.

ـ لأ طبعًا، مفيش الكلام ده، إنتي كنتي شغالة معاهم.

صُعقت وعد مما سمعت، ونظرت إليه في دهشة دون أن تنطق بكلمة، وتابع كلامه:

ـ إنما عشان ساعدتينا، ممكن يتخفف عنك الحكم شوية، يعني مثلاً ممكن يبقى مؤبد ولا حاجة.

ردت وعد بفزع قائلة:

نعم؟ ممكن إيه؟ حرام عليك، مش إنت وعدتني إنك هتحميني، إنت عارف إني مظلومة.

وأخذت في البكاء.

ـ ده إلا إذا بقى...

فانتبهت إليه وكأنه الملاذ والملجأ قائلة:

إلا إذا إيه؟

نظر الرائد عمر في عينيها وأطال النظر قائلاً:

ـ إلا إذا وافقتي تتجوزيني.

فابتسمت وعد بخجل، فنظرت لعينيه ثم أخفت عينها عنه قائلة:

هفكر.

ـ نعم؟ تفكري؟ ماشي، فكري براحتك.

اتجه نحو الباب، وقام بالمناداة على أحد العساكر قائلاً:

ـ يا خلف، تعال يا ابني خدها على الحجز.

سحبته من يده مضطربة وهي تضحك قائلة:

لا، لا خلاص، موافقة، إنت إيه؟ مصدقت!

غمز إليها بعينه مبتسمًا قائلاً:

ـ أيوة كده...

بعدما تمت مدة الخطوبة، قام العروسان بإتمام إجراءات زواجهما وجهز كلٌّ منهما نفسه، وجاء موعد الزفاف، وفي لحظة دخول العروسين القاعة قام أحد المجهولين بإطلاق رصاصات نارية... وأظلمت القاعة وعلت صرخة أحدهم قائلاً:

(لاااااااااء).

تقديم

الرواية الاجتماعية وأدب الشباب الجديد

"رواية الورطة أنموذجًا"

حاتم عبد الهادي السيد

تتأسس الروايات العربية الجديدة المعاصرة على ضدّيات متغايرة، غيريّة متراتبة، ملتبسة ومحايثة أيضًا، تبدو كسراب يحسبه الظمآن قَطرًا، فإذا به الهطول المفارق لضدّيات ذهنية، مجردة تارة، ومُحَسّة تارة، وغائمة وغامضة، بل وملغزة كذلك، وجميلة أيضًا.

إنها هندسة جديدة للشكل تجاه المضمون، والمضمون تجاه الشكل، عبر مراوحة السّياقات الكلّية، والشذرات والتّكايا الجزئية، التي تندغم فيها شهقة الذات، وحليب الطين، والنور الذي يهطل من سرّة النور الميتافيزيقية لأسرار البهاء الباذخة.

هل نحن إذن أمام مخيال جديد، يؤسس لمعادلات الذات لتندمج مع المُعطى المجتمعي، أو المعطى السيموطيقي بدواله ومدلولاته وعلاماته التي تصهل في الفراغ الكوني، لتؤسس وجودًا لاميتافيزيقيًّا ملتبسًا، يعصف بالذهن ويصهل في الروح، ويفجّر الأنوثة الطاغية لجماليات اللغة الصاهلة، والفاختة بقرقل البياض، وبعسجد الأبدية؟!

ترى، هل نبتكر تربة نقدية مغايرة نبذرها مع ربيع الرواية الجديدة، أم ترانا نؤسس لصوفية سيموطيقية جديدة تسير مع الصور الممسوسة بكهرباء الروح المتوضئة بالعشق الباذخ، والموضوعاتية السامقة، التي يتبدّاها الكاتب، ويتغيّاها، ليؤسس لنا براحًا ذاتيًا متسعًا، لمُهر الاختلاف الجديد، لإبداعات ضدّية، تصنع فرادتها عبر صهيل الذات الحالمة المتصوفة بنبيذ سيروري سامق يعيد للحياة بهجتها التّغايرية اللطيفة؟!

وهل يخاتلنا المبدع الروائي "محمد الغرباوي" ليأخذنا في كتاباته المثيرة الممتعة، ويعبر بنا عبر جسر اللغة، ليماهينا بين الحسّي والذهني، والمجرد واللامادي، والفيزيقي الواقعي، والتغايري والتخالفي، والعبثي واليقيني اللامطمئن، واللاقانع؟ بل هو يعبر بنا عبر الذات إلى الواقع؛ ولكنه واقع رافض؛ واقع سلبي لعالم فيه الناس وأبطال الرواية ضد القيم والأخلاق؛ بل هو عالم يدمر

الأخلاق والشباب عبر تجارة المخدرات والحشيش والبودرة والحبوب المخدرة وغيرها.

ويحاول الغرباوي أن يعالج ذلك الواقع بتغليب القيم ورفض التهريب ومكافحة الجريمة من خلال أبطال الرواية؛ وهي رواية تجنح إلى البوليسية، أو هي رواية الشباب المغامرين الذين يستمتعون بمثل تلك الروايات التي تستنهض فيهم مغامرات الدفاع عن القيم، ورفض التهريب والمهربين، وتثمين دور الشرطة والدولة لمتابعة المجرمين والقبض عليهم. وهي رواية واقعية اجتماعية رومانسية كذلك، حيث تجسد حب "وعد" البطلة التي كانت تعمل في التهريب وتابت عندما عرفت خالد وسيكا من قبل، ولم تكن تعرف – حتى النهاية – أن خالد حبيبها هو ضابط الشرطة عمر الذي سيقبض على العصابة الدولية التي يتزعمها الريس كارم ومساعده جابر الشاب الضخم المخيف وغيره من رجال العصابة.

كما تكشف الرواية عن فساد بعض الكبار في الدولة مثل شخصية "الرجل الكبير" الذي يشغل منصبًا كبيرًا في الدولة، فإذا به هو زعيم العصابة الذي جند بعض ضعاف النفوس من صغار الضباط ليعملوا على تسهيل أمر البضاعة من الحشيش والمخدرات وإدخالها إلى البلاد عن طريق الشبكة الدولية في بيروت بلبنان وبعض الدول. إلا أن يقظة الحكومة والمخابرات المصرية وتعاونها مع رجال المخابرات في بعض الدول العربية الأخرى قد جعل

المخابرات المصرية تقبض على التنظيم الدولي الذي يجلب المخدرات إلى البلاد ويدمر المجتمع والشباب وكل شيء.

كما يستخدم الكاتب الروائي الجميل محمد الغرباوي اللغة العربية السلسة، إلى جانب اللهجة العامية، ليمزج بين الواقع والخيال، ويحاول إشراك الجمهور في اللعبة السردية للرواية الشائقة البديعة ولموضوعها الاجتماعي الهادف.

ثم هل يصنع الروائي المعاصر محمد الغرباوي – هنا – معادلاً جديدًا ضمنيًا عبر كتاباته المفتوحة الآفاق على براحات الكون والعالم والوطن، عبر ذاته/ حبيبته/ الكون، لينسرب من كل ذلك، ليسبح عبر ذاتية الأبطال ليصنع عالمه الصغير الجميل؟ إذ تعد رواية "الورطة" هذه أولى رواياته المثيرة التي تمزج بين "روايات الشباب" و"أدب المغامرات" كالتي يكتبها الكاتب الجميل نبيل فاروق، وكامل الكيلاني، وكثير من كتاب الشباب المعاصرين.

ثم هل ترانا نشاهد الكاتب وهو يسير على منوال الأدب العالمي ليصنع عالمًا واقعيًا يمتزج فيه الحب مع المغامرة مع الرعب، ويجسد الإنسانية الكامنة في نفوس البشر، كالتي صنعتها من قبل الكاتبة "أجاثا كريستي"، أو كالتي كانت تثيرنا بموضوعاتها مثل "روايات عبير"، وقصص "المغامرون الخمسة"، أو غيرها من القصص التي تخاطب شريحة الشباب والفتيان والفتيات، والتي

تستلب عواطفهم، وتسمو بخيالاتهم، وتحقق غاياتها المنشودة لمثل هذه الشريحة الشبابية الناهضة، والتي تمثل مرحلة فارقة في عمر الأمة؛ إذ الشباب هم عماد الأمم، وتربيتهم وتدريبهم على اتباع الفضيلة ونبذ الرذيلة والتحلي بالأخلاق الفاضلة هو واجب الأسرة والمدرسة والدولة والمجتمع بكل مؤسساته المختلفة؟!!

ثم هل يجترح الروائيون الجدد – الشباب – غلاف اللغة الشفيف ليعبروا بها، وبنا كجمهور أدبي، إلى أعماق الجوهر عبر سياقات التأويل، أو حتى المباشرة، لنعبر إلى نصوص أكثر جموحًا، وأعمق طرحًا، وأسمى مذاقًا، ونكهة تستمد شرعيتها من مذاق سيرورتها الباذخة، عبر المقولات اللغوية، أو المحايثات الملتبسة؟ فكأننا أمام صور جديدة لملاك، أو لشيطان يتلبّس قارئه، فيمسّه ليجده – من بعيد – يقترب ممسكًا بغيمة ليهطل على العالم والكرة الأرضية، أو ليهطل على الأنهار والسماء الهاطلة؟!

إنها الرواية: هطول فيزيائي، هطول ذهني، يستحثّ العقل، ويحفّز الذاكرة لاستكناة عالم مغاير، سامق وزاعق، متخفّ وعارٍ، هامشي وملغز في آن، له نكهة ومذاق سرمدي عبر الكون والعالم والحياة.

إن الحديث عن رواية عربية معاصرة والتنظير لها، لا يمكن أن يؤتي ثماره نظريًا – كما أحسب – بل وجدنا التطبيق العملي أنجع السبل للوصول إلى تمظهرات التجديد في الرواية العربية، وعلى المُنَظِّرين

أن يستقوا من خلال مفاتح التطبيق – فيما أحسب – الأطر والسمات، والثيمات التجديدية التي تحدد مسارات الرواية العربية المعاصرة.

لقد خطت الرواية العربية خطوات تجديدية واسعة في العقد الأول من القرن الحالي، وأراها تعبر نهر الحداثة وما بعدها لتقدم الجديد والمغاير، عبر كتابات الروائيين الشباب، وبعض الكبار الذين طوروا من منهاجية الكتابة، مستفيدين من العجلة الكونية التحديثية التي طالت كل العلوم والفنون والآداب، وطالت كل جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. لذا لا غرو أن تنطلق مقولات مثل: "الرواية هي ذاكرة العصر"، أو أنها ديوان العرب، وإن كنا لا نميل إلى مثل هذه المقولات التي لا تنتصر للفنون، وتعقد تقارنية بين إجناسيات متغايرة، ومحايثات ملتبسة لضدّيات متغايرة، بل أقول: إن لكل جنس أدبي مذاقه الخاص، فالشعر هو الشعر ذاكرة الأمة وديوانها الخالد، والقصة القصيرة هي التي تقرأ الواقع وقضاياه عبر كبسولات ترميزية تكثيفية متراكمة. أما الرواية فقد تكون ديوان العرب – الآن – ولكن في سياقها البنائي، دون أن تطال من إجناسيات أخرى كالشعر والفنون والعلوم كذلك.

لن نوغل أكثر في فتح رؤى قرائية، أو تقديم درس نقدي للنقاد الجدد، أو درس تثاقفي استعلائي، فلم نركن، ولن نجنح، ولم نقصد ذلك مطلقًا، بل نقدم طرحًا جديدًا – كما أرى – وهو محاولة منا

لتقديم أنموذج نقدي نحتذي به، لقراءة النص الأدبي الروائي، كي لا نتوه في خضم وضبابية النظريات الكثيرة جدًا، والتي قد تشوش الآفاق لدى الناقد والقارئ، بل والروائي كذلك، ومبدع القصة القصيرة، السرد عمومًا كذلك.

إننا ننطلق من نظرية نقدية مفادها: "إن النص السردي يطرح منهاجيات قراءته، ولا يجب على الناقد أن يفرض نظرية تجاه النص، كي لا يلوي عنق النص، بل عليه أن يقرأ النص متأولًا سياقاته، وهارموني مضموناته، وهنا على الناقد أن يطوّع النظرية، وقد يستخدم أكثر من نظرية نقدية لتطويع النقد لخدمة النص". ومن هنا كان اتجاهي، ومنحاي، لتقديم قراءات – أراها حسبما أطيق – تغايرية بعض الشيء، أو تنحو إلى تجديد. وعلينا أن نطرح الرؤى، وأن نعمل محاولاتنا النقدية التجديدية للوصول بالرواية العربية المعاصرة إلى آفاق نطمئن إلى هويتها، كي نرسخ للهوية العربية لها، ولنقرأها، ومعنا القارئ بمذاق عربي أصيل، ونكهة شرقية تتسق مع الجميل والمقدس، وتعبر بهما إلى آفاق أكثر رحابة عبر المخيال الذي يتماشى مع مزاجية العصر، ومزاجية التوجه الشرقي الجميل، لنشاهد روايات عربية تأخذ بالقديم وتتوسل الجديد، لتقدم للقارئ عبر ربوع العالم، رواية جديدة بنكهة عربية، شرق أوسطية مغايرة، وجديدة، شاهقة، وجميلة أيضًا.

لقد نجح الكاتب محمد الغرباوي في استخدام دراما السرد في وصف الأحداث، عن طريق لغة الحوار، والتصوير الشيق المتنامي للأحداث، وكسر الإيهام بالجمل الحوارية للشخوص، ثم الانتقال البديع عبر اللغة السردية البسيطة والعميقة في آن، في وصف الحالة الدرامية والفنية للرواية. كما استطاع أن يصور لنا بعض عادات المجتمع المصري وتقاليده التي ترفض التهريب وتحاربه من خلال المخلصين، من خلال استدعاء لغة السرد المحلية، لتضمينه السياقات النصية جملًا ومعانٍ ومفردات صرفة، إلى جانب تضفيره لغة السرد الفصيحة بلهجة عامية أكثر بساطة وإجادة وعمقًا. وقد استطاع توظيف أحداث الرواية وتوجيه السرد نحو غائيات مقصدياته، عبر شخوص الرواية ولهجتهم المحلية، المعبرة عن جوهر الموضوع والوسط الشعبي الذي تقع فيه تلك الأحداث الجميلة للرواية.

ولقد نجح الكاتب – بحسب ما يطيق – في تقديم رواية تمس الذات والمجتمع، وتقدم موضوعًا يمس الشباب وكل شرائح المجتمع، وقد استطاع أن يعبر حواجز الرواية الشاهقة، ويجتاز كثيرًا من المفازات، ويعبر بعض المنزلقات الخطرة، ليقدم لنا بكل ما يستطيع رواية جميلة تخاطب الشباب، وتحاول أن تجد لها مكانًا في عالم الرواية الجديدة!!

إن النقد علم مخصوص، شائك، ممتع، جميل، وهو علم يحتاج إلى دربة بعد أن اختلط – الآن – الحابل بالنابل، ودخل إلى المجال من كل صوب وحدب الكثير، فغامت الرؤى، وضاعت القيمة، وغدا النقاد أشبه بمن يقرعون خطوب الحرب، شاهرين سيوفهم على المبدع والإبداع، غير عابئين بأطر ومنهاجيات وضوابط معيارية، توازن بين المنهج والنظرية، وبين التطبيق الجاد، وعدم الخلط بين مبدع جديد مبتدئ نحاول أن ننهض به وبما يكتب، ولا نقف أمام طموحاته، بل نشجعه ونقف إلى جانبه، وهكذا يكسب الأدب مبدعًا على أول الطريق.

في النهاية: تظل الرواية العربية هي القالب الإبداعي الأشهى الذي يعكس الواقع، ويقدم واقعًا سوريًاليًا، فيزيائيًا، سيمولوجيًا، وأبستمولوجيًا جديدًا، يعبر بالخاص إلى العام، وبالماضي إلى الحاضر، ويستشرف أفقًا مغايرًا للأدب الإنساني المائز، الشاهق، الباذخ، الجميل، عبر الكون والعالم والحياة.

حاتم عبد الهادي السيد

رئيس رابطة الأدباء العرب

رئيس اتحاد الأدباء الأفرو - آسيوي

عضو اتحاد كتاب مصر